روايات عبير

مغامرات الكونتيسة

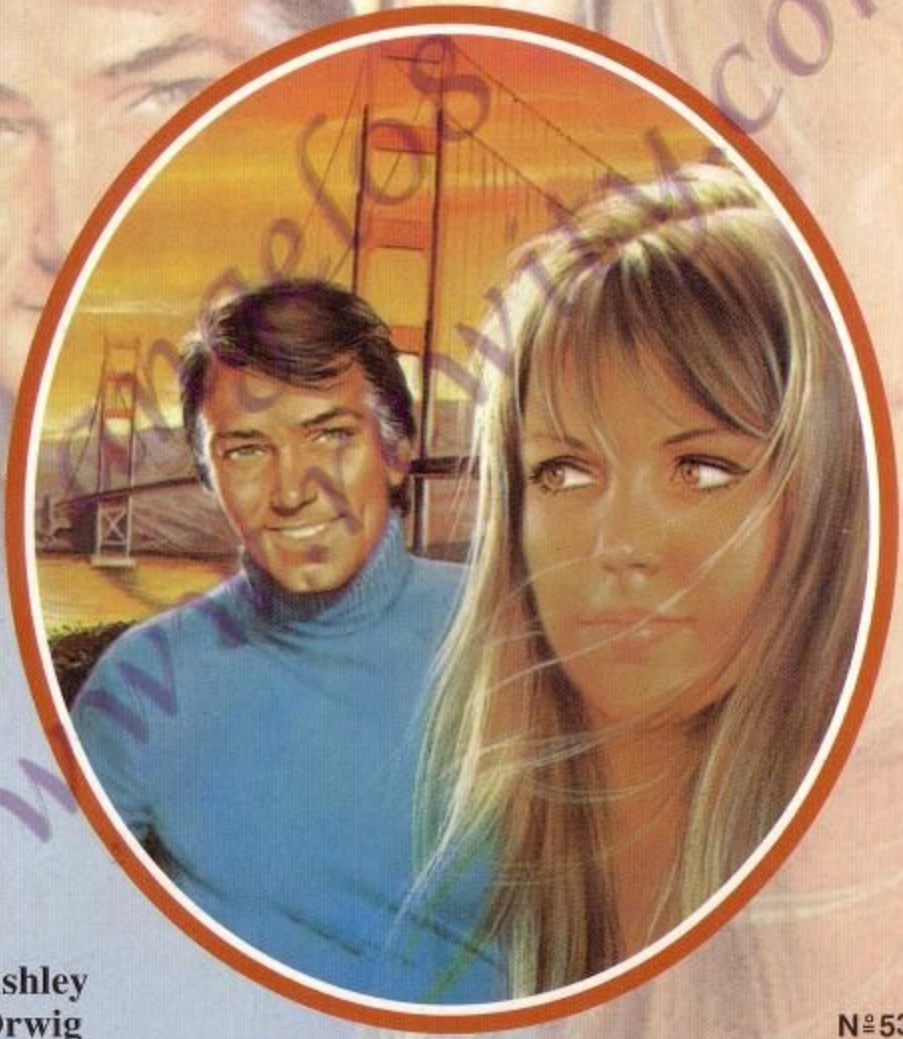

Ashley
Orwig

N° 532

روايات عبير

بدأت
" فيونا " تجمع أوراقها ومذكراتها المبعثرة ثم
هبطت من فوق المنصة لتعبر القاعة .
كان " ليو " واقفاً بالقرب من الباب وأشار إليها أن تقترب . كان بجواره
البارون " في أبهى مظهره وأناقته .
صاحت دون أن تتمالك نفسها :
- أنت ؟
- أنا .
- هنا ؟
- نعم هنا ...
- ولكن لماذا ؟
إبتسم " فيك " فقال " ليو " مازحاً وهو يضرب " فيك " على كتفه في ود:
- نادراً ما أسمع حواراً واضحاً كهذا !
تلعثمت " فيونا " وهي تخلع نظارتها الطبية :
- هل يمكن أن تشرح لي يا " ليو " ماذا يفعل
هنا ؟

www.rewity.com

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٤ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٢,٥ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال

ISBN 9953-414-24-6
9789953414249

الغلاف الأمامي

تعمل "فيونا" أمينة مكتبة تحت رعاية ثري تبرع بأملاكه للخير وأشرف على رعايتها حتى أتمت تعليمها الجامعي.

يدعوها ربيبها المحسن إلى أن تحل محله في عطلة نهاية الأسبوع لدى آل "هارينجتون" الذين يقيمون من حين لآخر تمثيليات يقوم فيها كل مدعو بدور معين.

تقوم "فيونا" بدور كونتيسة تعود لحبيبها البارون بعد خصام دام سنوات، وتقع في حبه مرة ثانية. تؤدي دورها بإتقان أمام البارون الذي يقوم بتمثيل دوره "ڤيك هارينجتون" وهو من كبار رجال البنوك. يقع كل منهما في حب الآخر حبا حقيقيا وليس تمثيليا.

بعد انتهاء عطلة نهاية الأسبوع يلتقي العاشقان كثيرا ولكن هناك حواجز عالية تمنع استمرار هذا الحب.

شخصيات الرواية

- "فيونا فينيجان": أمينة مكتبة تبرع بها أحد كبار الأثرياء والذي رعى الشابة حتى أتمت تعليمها. تقوم بدور الكونتيسة "امبروزا" في تمثيلية نهاية الأسبوع.
- "ڤيك هارينجتون": من كبار رجال البنوك وكان يقوم بدور البارون في تمثيلية عطلة الأسبوع.
- "سيلفيا" و"هيبرت هارينجتون": عمة وعم "ڤيك" وأصحاب الدعوة لعطلة نهاية الأسبوع.
- "ليو ثورن": ربيب "فيونا" وصاحب المكتبة العامة.
- "آن ميلروز": زوجة "ڤيك".. توفيت صغيرة.
- "روز ماري أجنس": أعز صديقات "فيونا".
- "تينا": ابنة "ڤيك" من زوجته المتوفاة.
- "ستان" و"آبي ميلروز": والد ووالدة "آن ميلروز".. جدا "تينا".
- "أرشي": رجل عجوز مغرم بالقراءة.. صديق لـ"فيونا" ويحبه الأطفال.

angelo8
www.rewity.com

الفصل الأول

داعبت "فيونا فينيجان" شفتيها المطليتين بطبقة سميكة من أحمر الشفاه بيدها المغطاة بقفاز من جلد الماعز الأبيض.

عندما عبرت البوابة الضخمة التي تحمي الدار الفاخرة لمضيفيها قفز قلبها في صدرها وهمهمت وقد امتعضت:

- يا إلهي! إنني أحتاج إلى مرشد حتى أعثر على هذه المتاهة.. من المتوقع أن تكون عطلة نهاية أسبوع سعيدة!

خرجت الشابة من سيارتها "الفولكس" الصغيرة وصعدت الدرجات القليلة للفناء الأمامي والشرفة المؤدية إلى باب ثقيل من خشب الأشجار المعمرة، وقبل أن تدق السقاطة النحاسية ألقت نظرة سريعة على ملابسها الغالية الثمن.

كان ثوبها الأحمر يعطيها مظهر الغجريات، وكان صدرها محشورا بشدة داخل بلوزتها حتى إن عطسة واحدة يمكن أن تجعل صدرها عاريا. قالت في نفسها -وهي متضايقة- "إنها لولا إلحاح "روزي" الممل

لما اضطرت لأن ترتدي هذا الزي."

ولكن ذكرى فترة بعد الظهر الممتازة التي قضتها مع صديقتها في تجربة الملابس جعلت الابتسامة تعلو شفتيها. لقد قامت المتآمرتان بتقليب كل البضاعة في محل الملابس المستعملة وهما لا تكفان عن الضحك في صوت واحد قبل أن تتوقفا عند هذا الثوب الغجري وهذا الشال الرقيق المصنوع من الدانتيلا السوداء الذي يظهر جمال بشرتها البيضاء.

أخذت "روزي" تلح عليها قائلة:

- إنها فرصة عمرك يا "فيونا"! عطلة أسبوع الأحلام لتكشفي السر الغامض وتقومي بتمثيل الدور.. وكلما بدا شكلك غير مألوف بدو طبيعية بين المدعوين. انسي إذن أنك "فيونا فينيجان".

انتهى الأمر بالشابة إلى أن استسلمت لتوسلات صديقتها وارتدت ذلك الثوب من الحرير الهفهاف.

صاحت "روزي" التي كانت تراقب -في حسد- تقاسيم جسد "فيونا" الرائعة:

- أنت فعلا مثل إحدى ربات الجمال الإغريقيات، واتحدى أحدا أن يعرف أنك بديلة مضيفة.

فكرت الشابة -وهي تشعر بالمرارة- أنها ليست سوى بديلة على نحو ما وهي ترقب الدار المهيبة وعمارتها الفاخرة والتي بدت فوق التل مثل حجر الزمرد الثمين فوق قطعة من الحلي.

وعن بعد يمكن رؤية البحيرة ذات الانعكاسات الفضية ضائعة وسط الوديان الصغيرة. حدثت نفسها:

"إنه لا ينقص هذا المنظر سوى إحدى مقطوعات السوناتا لـ"بيتهوفن" حتى تكتمل اللوحة". كان المنظر الطبيعي يشبه أحد المشاهد في رواية من روايات "فرانسيس سكوت فيتزجيرالد".

www.evabook.com angelo8

شردت الشابة في أفكارها وهي تعبر في صمت آخر الدرجات التي تفصلها عن الدار السعيدة. لماذا تركت نفسها تقتنع بفكرة الرجل المحسن "ليو ثورن" أن تحل محله في عطلة الإثارة هذا الأسبوع -والتي تديرها فرقة من الممثلين المحترفين- عند أصدقائه الأعزاء؟

كل هذا لأن أحد المدعوين ألغى حضوره في آخر لحظة. كان المبرر لا غبار عليه ولكن "فيونا" كانت تعلم أن "ليو" يحاول- قبل كل شيء- أن يخرجها من بين كتب مكتبة "ثورن"، ولم تستطع أن تفعل شيئا لتثنيه عن قراره. ثم كيف يمكنها أن ترفض أن تؤدي أقل معروف لصاحب عملها الكريم الذي استطاع فعلا أن يغير مجرى حياتها؟

كان مجرد أن تراه يبتسم كافيا لأن تتخذ قرارها. ولكنها الآن وحيدة أمام هذا الباب الثقيل وهي تهم -لأول ولآخر مرة- بمواجهة "ليلة القتل". بدأت أصوات تتسلل من النوافذ الكبيرة المفتوحة على مصراعيها، تغطي عليها -أحيانا- أصوات رنين الكؤوس الزجاجية -وهي تسقط- وضحكات عالية.

ربتت "فيونا" للمرة الأخيرة على الحرير الهفهاف في عصبية وهو يلتف حول جسدها ثم قررت أخيرا أن تطرق السقاطة النحاسية التي تآكلت بفعل الزمن وعوامل التعرية.

انفتح الباب على رجل ذي شعر أبيض والذي وقع بصره في الحال على الثوب المثير للشابة.

أحست "فيونا" بالحمى تسري في خديها بسبب نظرة الإعجاب، وأخذ قلبها يدق حتى أوشك أن ينفجر. لايزال أمامها وقت للهروب. وأن تجد عذرا.. همهم الرجل وهو يتنحى ليسمح لها بالمرور:

- تفضلي بالدخول يا سيدتي.

فات الأوان الآن أن تهرب وتلجأ إلى كتبها وأحلامها. تذكرت "فيونا" فجأة أن عليها دورا لابد أن تقوم به فأخذت نفسا عميقا واستعدت

لمواجهة يومي التمثيل. لقد كانت "روزي" على حق فعلا. إنها تستطيع أن تسمح لنفسها بكل شيء. أضاءت ابتسامة طفولية وجهها. لقد علّمها أبوها "جو فينيجان" كيف يمكنها التغلب على كل المواقف، والأكثر من ذلك كيف تخرج منها سليمة.

قالت "فيونا" أخيرا:

- هل تتفضل وتعلن عن وصول الكونتيسة "امبروزا"..

ألقت شعرها الأسود الفاحم الكثيف للخلف.

وفي الحال ظهرت سيدة -ذات شعر فضي مرتدية ثوبا طويلا له ذيل تجره خلفها- في فتحة باب البهو. قالت وهي تقترب من "فيونا" وتمسك بيدها:

- تفضلي يا عزيزتي.. أنا "سيلفيا هارينجتون" وأنت -بالتأكيد- صديقة "ليو". لطالما تحدث عنك حتى تأثرنا من قبولك الحضور في آخر لحظة.. والآن يا عزيزتي ذكريني بشيء صغير..

نظرت إليها نظرة ماكرة وهي تضع يدها على شفتيها:

- ... ما اسمك؟

- أنا "فيونا فينـ...."

قاطعتها "سيلفيا" في الحال:

- صه.. هنا لابد أن ننسى شخصياتنا. خلال يومين ستكونين.. نعم "الكونتيسة امبروزا".

خطت سيدة المكان خطوتين للخلف وأخذت تفحص الشابة بإمعان شديد:

- نعم.. ستصبحين "كونتيسة" رائعة.. وثوبك مذهل وأنت فاتنة حقا.

ابتسمت "فيونا" سرورا وشيئا فشيئا أصبح التمثيل حقيقة. كانت "سيلفيا هارينجتون" ترتدي زي أميرة إيطالية ولم تدهش من زي "فيونا" على الإطلاق، وكانت هي في دور "كونتيسة".

جاء صوت فجاة خلفها لرجل نبرته رقيقة:

- فاتنة!

كان صوتا ساحرا قويا ودافئا حيث انطلق رنينه في جو البهو الضخم. اقترب الرجل منها وأمسك بيدها المرتدية القفاز ليطبع عليها قبلة خفيفة وسألها:

- من أنت أيتها المخلوقة الفاتنة؟

أجابت عنها "سيلفيا هارينجتون" وهي تلف ذراعها حول وسط الشابة:

- إنها آخر مدعواتنا... "الكونتيسة امبروزا". فخامة الكونتيسة: اقدم لك البارون "فون بلاستر". يا إلهي يا "فيك"! كم هو لائق هذا الاسم عليك!

رفعت "فيونا" رأسها في رقة والتقت عيناها بعيني "البارون" السوداوين فاشرق وجهه في الحال.

أضافت مضيفتهما:

- إن الحظ معك يا عزيزي "البارون"؛ لأن كونتيستنا الحسناء ستكون شريكتك في عطلة هذا الاسبوع. كم سيكون الأمر مثيرا وستصبح المباراة عويصة! لابد أن يلجأ عزيزي "هيبرت" إلى خياله.

بعد هذه الكلمات اختفت السيدة وسط ضجة من حفيف ثوبها الدانتيلا تاركة "فيونا" في مواجهة "البارون". ادركت "فيونا" فجاة انه لايزال ممسكا بيدها بين أصابعه؛ سحبتها في الحال وعقدت ذراعيها على صدرها.

قال ضاحكا:

- ها.. ها.. أيتها الكونتيسة الحسناء.. أنا أعرف بالفعل شيئا عنك. عادة أنت لا ترتدين مثل هذه الثياب المثيرة.

- فعلا يا "بارون". كما أنني أشعر بالبرد.

قال بلهجة مسرورة وهو يصحبها إلى الصالون حيث يقدم مشروب

عصائر الكوكتيل:

- لك الحق!

انتقلت "فيونا" من مفاجاة إلى أخرى.

بالتاكيد كانت تتوقع بعض شخصيات المجتمع والأحاديث مع شخصيات مجهولة بالنسبة لها طوال عطلة نهاية الأسبوع. وكان الموقف طريفا ومرعبا في آن واحد. كان الرجل الواقف بجوارها من المحتمل الا يعرف القلق والهواجس في حياته.

زفرت وهمس "البارون":

- والآن اخبريني.. أيتها السيدة الحسناء. هل هناك شيء آخر يضايقك؟ أنا هنا لأسهل عليك الأمور.

يسهل عليها الأمور..! نظرت إليه "فيونا" وهو يقول تلك الكلمات دون أن تنبس بكلمة ولاحظت أن الشيب خط فوديه.

أجابته ببرود وابتسامة مثلجة:

- لا شيء على الإطلاق يا "بارون".

- لا شيء؟

زادت نظرته قتامة وتنفست "فيونا" في هدوء واستمرت في تحمل نظرته.. لم تعد "فيونا فينيجان" وإنما الكونتيسة، وكررت:

- لا شيء يعد مهما يا "بارون".

- رائع! والآن سنذهب لنتعشى. افترض أنك ستتظاهرين بأنك تقعين في غرامي.

صاحت الشابة وهي معلقة بذراعه حتى لا تتعثر قدماها في السجادة السميكة:

- اقع في غرامك؟

- ألم تقرئي الدعوة يا كونتيسة؟

- لديّ شعور أنه فاتني شيء لم أدركه. هل كان ذلك مذكورا في المذكرة

www.rewity.com

المصاحبة للدعوة؟

- بالضبط! وهي تقول: "إن البارون "فون بلاستر" والكونتيسة "امبروزا" ينجوان -بصعوبة- من ظروف غير واضحة، وقد انفصلا منذ عدة سنوات. ورغم الشكوك التي تحوم حول جريمة القتل فإنهما يقعان مرة ثانية في حب كل منهما للآخر. ولكن عندما يعترف "البارون" أنه أفلس وأنه سيرث ملايين من الضحية فإن التوتر يزداد..

كان يتحدث بلهجة تمثيلية جعلت الشابة تضحك.

- ألم تخترع شيئا..؟

- أقسم قسم الكشافة أنني لم أضف شيئا من عندي.. نحن لسنا سوى حمامتين عاشقتين: "بارون" و"كونتيسة" وأمور غامضة. إن ذلك كثير جدا على "فيونا" التي انطلقت ضاحكة كما أن هذا الوضع بعيد جدا عن المكتبة!

- وهكذا يا عزيزتي أمامنا طريق طويل لنقطعه.

أكملت "فيونا" في مرح وهي تهز رأسها:

- كل هذه السنوات بدونك.

- لقد أحسست بالوحدة الرهيبة يا عزيزتي.

- لا شك أن لياليك كانت مشغولة جدا.

- لا صلة لذلك بالحب الذي نتبادله يا كونتيسة.

ترددت أصداء ضحكاتهما وسط جو الحديقة المنعش. ظهر أمامهما منظر رائع، وكانت أشعة الشمس تتلاعب على سطح البحيرة التي تمتد لتختفي عند الأفق.

همهمت "فيونا" وهي تستند على الجدار المنخفض الحجري المحيط بالحديقة:

- إنه منظر رائع!

اقترب "البارون" منها:

- أنا أحب هذا المكان. إن "سيلفيا" و"هيبرت"..

- هل هما صديقان حميمان؟

- نعم. بل أكثر من ذلك. إن العمة "سيلفيا" والعم "هيبرت" جزء من عائلتي.

أخذ كأسين من عصير التفاح من فوق صينية فضية يحملها خادم وأكمل:

- إنهما كثيرا ما يحاصراني في اجتماعاتهما الصغيرة، وأعتقد أن مسألة عدم زواجي تشكل أهم مشاكلهما الرئيسية. ولكن خبريني يا "كونتيسة".. كيف تمت دعوتك؟ لم يسبق لي أن رأيتك هنا من قبل أبدا.

قالت الشابة وهي تبتسم:

- بالتأكيد لم ترني. أنا أقوم بدور البديلة على نحو ما، وهانذي هنا! وأعتقد أن جميع الشخصيات لا يمكن الاستغناء عنها لحل اللغز.

صاح وهو يلمس حافة كأسه بكأسها:

- أنت التي لا يمكن الاستغناء عنها. عاشت كونتيسة الحظ حياة مديدة!

احتست "فيونا" عصيرها وهي تبتسم وسألته:

- وماذا يحدث لو أن واحدا منا كان الضحية؟

- اطمئني يا "كونتيسة".. إن أصحاب الأدوار المهمة -مثل دورينا- سيظلون على قيد الحياة. إن الضحية سيكون واحدا من الممثلين، ومن ناحية أخرى سنكون جميعا موضع الاتهام.

- ربما كنت الآن أتناقش مع قاتل..

همس وهو يقترب منها:

- وما أهمية ذلك؟ لقد التقينا وهذا هو المهم.

دلكت "فيونا" ذراعها بقوة حتى لا ترتجف. سألها:

- ألازلت تشعرين بالبرد؟

www.freewitty.com

هزت رأسها قائلة:

- سيسير الأمر على ما يرام وشكرا.

ثبت "البارون" عينيه على صدرها.. تساءلت: ماذا سيكون رد فعله لو اكتشف شخصيتها الحقيقية؟ إنها لا تنتمي إلى نفس الطبقة الاجتماعية الراقية ولا حتى إلى الطبقة محدثة النعمة المسماة البرجوازية. إنها مجرد أمينة مكتبة بسيطة تائهة بين أكوام الكتب.

سالته حتى تخفي سرورها:

- أخبرني يا "بارون"... ما المفروض أن نفعله بجانب لقائنا الثاني الصاعق؟

- ألا يكفيك ذلك؟ حسنا.. أعتقد أن علينا أن نتناول العشاء ونتحدث ونرقص ونضحك.

- وجريمة القتل؟

حدجها البارون "فون بلاستر" بإمعان وكانه يريد أن يخترق سر عينيها الواسعتين بلون الزمرد.. ومع ذلك هناك شيء آخر هو الذي يجذبه نحو الشابة بطريقة لا تقاوم.

همس أخيرا:

- جريمة القتل؟ إن الضحية موجودة هناك بالخارج في مكان ما وكذلك القاتل الشرير والآثار، والقرائن مبعثرة في كل أرجاء المنزل.

- ومن المفروض أن نعثر عليها.. أليس كذلك؟

- بالضبط. والآن من المفروض أن أقدمك إلى بقية المدعوين. لابد أن يشاركني الآخرون فيك.. ومع ذلك امنحيني -فقط- لحظات من الخصوصية بعد كل تلك السنوات الطويلة من الفرقة يا عزيزتي الكونتيسة اللذيذة..

ظلت هذه الكلمات تتردد فترة طويلة في رأس "فيونا" وهو يصحبها نحو ضيوف آل "هارينجتون"، وكانت تنتقل من مجموعة إلى أخرى

وهي تحس بان نظرات الإعجاب تحيط بها مقرونة بالفضول نحو معرفة شخصيتها الحقيقية.

سادها فجاة إحساس أن عربة تجرها الجياد بانتظارها بالخارج، وأنها ترتدي في قدميها خفا من فراء السنجاب. كان عليها أن تفعل الكثير قبل حلول منتصف الليل... مثل "سندريلا".

كان العشاء عاصفة حقيقية من الأحاديث والمناقشات الحارة، والأطباق المذهلة مقدمة على مفارش طويلة من التيل الأبيض بينما يدور الخدم حول المدعوين. لقد نال أربعة وعشرون شخصا حظوة الجلوس أمام مائدة آل "هارينجتون"، وقد دهشت "فيونا" وأعجبت بموهبة كل فرد في أداء دوره: نجمة سينمائية، وأب روحي للمافيا.. فكرت في سرور أنهم أطفال حقيقيون يلعبون لعبة التخفي والتنكر.

مسحت بعينيها -مرة أخيرة- المائدة التي زُينت ببذخ ثم توقفت على منظر وجه "البارون" الجانبي الجالس عن يسارها. إنه "بارونها" خلال يومين، وأحدثت هذه الفكرة عندها ما يشبه الصدمة الكهربائية. من هو بالضبط؟ إنه يقوم بدوره كـ"بارون" ببراعة فائقة يصعب معها تصور انه غير ذلك. بقية المدعوين الذين ينادونه بـ"ڤيك" كان من الواضح أنهم يعرفونه جيدا. إنه "ڤيك" البارون ذو العينين السوداوين والشعر الفضي عند فوديه. إنه الآن يضحك.

جاء صوت عميق ليقطع عليها أفكارها. كان "هيبرت هارينجتون" مرتديا زي جنرال عسكري قد وقف منحنيا على كتفيها وسأل:

- هل الكونتيسة تستمتع بوقتها؟

- إن "لي ثورن" لم يخدعني يا سيد "هارينجتون". إن سهراتكم فعلا غير عادية. انا لم أقابل في حياتي متهمين بالقتل في منتهى اللطف مثلكم.

أجابها وهو يضحك:

– أنا و"سيلفيا" نحب أن نستمتع بوقتنا كثيرا. هل قدمك البارون إلى بقية ضيوفنا؟

– نعم ومن الواضح الجلي أنه يعرف كل الناس هنا.

قال وهو يلتفت نحو السيدة ذات العينين الجميلتين البندقيتين الجالسة بجواره والتي سبق أن لاحظتها "فيونا":

– أليس كذلك يا "أبي"؟

كان يجلس عن يسارها رجل محترم جدا له شعر خطه الشيب من المؤكد أنه زوجها. عندما قدمها "ڤيك" إلى المدعوين أحست "فيونا" أنهما يتابعانها بانتباه شديد وقد قدمهما لها على أنهما "أوليف" و"أوتو بيلي" وهما اسما ممثلين كوميديين شهيرين.

قالت المرأة:

– نعم. إن "البارون" يعرف أشخاصا كثيرين ولكن يبدو أنك راضية. هل كان البارون مراعيا لك؟

أجابت الشابة وهي متضايقة بعض الشيء من نظرة "أوليف بيلي" المتسائلة:

– أوه.. لقد كان صبورا جدا معي.. واعلمي أنني لم أتعود على هذا النوع من السهرات.

– اطمئني. إنني أرى من عينيه أنه مستمتع كثيرا وهذا أمر ممتاز.

أكمل "هيبرت هارينجتون" قبل أن يبتعد ليتحدث مع كبير الخدم:

– أترين هذا يا "أبي"... من يدري؟

تساءلت "فيونا" للحظة: ما الذي يمكن أن يقصده؟ وانتهت إلى أن هذا حديث متداول في الأوساط الاجتماعية وخاصة مع البارونات. فجأة أحست بضغط على ركبتها شتت أفكارها وظنت أنه ربما أحد كلاب المضيف. ثم همس في أذنها صوت دافئ:

– أيتها الكونتيسة. أجد أنك أهملتني

ارتجفت الشابة وقالت:

– لقد أفزعتني يا "بارون".. هل أنت الذي ضغطت على ركبتي؟

– هل تحبين أن نهبط كلانا تحت المائدة للتفتيش؟

– هل هذه هي اللحظة المناسبة لارتكاب جريمة القتل يا "بارون"؟ لا تعتمد عليّ.

قال ووميض المكر في عينيه وهو يمسك بيدها ليضغط عليها بشفتيه:

– حسنا جدا.. لقد فهمت.. إذن أنت تكتفين بالدفاع عن نفسك وأن تستمتعي بهذه اللحظات اللذيذة التي نقضيها معا.

قال صوت قوي على الجانب الآخر من المائدة:

– إذن يا "بارون".. أرى أنك عثرت على شريكة ساحرة!

نظر "ڤيك" إلى الأب الروحي –السيسيلي الأصل– في انبساط. إنه يعرف أن تحت هذا التنكر كزعيم للمافيا يختفي رجل دين يسعد كالطفل.

رد عليه "ڤيك" بصوت مرح:

– أنا ألعب دوري بمنتهى الإتقان حتى أتأكد من نجاح هذه الأمسية.

وافقه القس بهز رأسه وقال وهو يضحك هو و"فيونا" في وقت واحد:

– الحق معك يا "ڤيك"... من يدري ماذا يخبئه القدر لنا في نهار الغد؟ وأنت يا سيدتي الحسناء.. من أنت؟

أجاب "البارون" في الحال بدلا منها:

– الكونتيسة "امبروزا" وهكذا سميت بسبب بشرتها السكرية التي تشبه إكسير الحياة.

– آه أيتها الكونتيسة العزيزة.. كم أنت جميلة! ويا لحسن الحظ أن التقيتما أنت والبارون للمرة الثانية، وهكذا ترين أنني قرأت ما جاء ببطاقة الدعوة.

احست "فيونا" مرة ثانية بأصابع جارها تداعب ركبتها؛ تسارعت انفاسها وخشيت أن تكشف عن انفعالها من اهتزاز صدرها.

أضافت المرآة ذات العينين البندقيتين التي بدت لم تلاحظ مدى اضطرابها.

- نعم.. أنا متفقة معك في الحقيقة أيها الأب الروحي العزيز.. يبدو أن "ڤيك" -أو بمعنى أصح البارون- وجد الحب.

ابتسم البارون لها في حنان. كان من الواضح أنه مرتبط جدا بـ"أوليف بيلي".

حاولت "فيونا" أن تبتسم بطريقة طبيعية قدر المستطاع وهو يداعب ذراعها. قالت في نفسها: "على أية حال هذا ليس سوى تمثيل وعليه أن يقوم به بإتقان".

لفت الشابة ذراعها حول وسط جارها ومالت بخدها على كتفه وقالت:

- هل تتذكر آخر مرة كان فيها لقاؤنا؟

- لقد كان هذا في جزر "الانتيب" على ما أظن..

أخذ أحد المدعوين يشكو -متنكرا في حارس الصيد-:

- ولماذا لم ألعب أنا دور البارون؟ ألا تريد تغيير دورك معي؟

- إطلاقا! هذه هي المرة الأولى التي يحالفني فيها الحظ. إن كونتيستي هي أجمل هدية تلقيتها.

وضع ذراعه على مسند مقعد "فيونا".

بدا أنه كان يتوقع أن تحذو جارته حذوه ولكنها ابتسمت له ابتسامة جذابة دهشت هي نفسها منها. قوطع حديثهما بصوت جرس فضي حركه "هيبرت هارينجتون" قبل أن ينهض من أمام المائدة ثم بدأ الحديث بلهجة شكسبيرية:

- مرحبا بكم يا أصدقائي. أظن أنكم بذلتم كل ما في استطاعتكم حتى

تتعارفوا ولكني مصرّ على أن أذكركم بصفة كل منكم. انتبهوا جيدا؛ لأنه في الغد واحد منا سيختفي وآخر ستخضب يداه بالدماء.

انفجر ضحك عام يحيي الكلمات الأخيرة ثم قدم "هيبرت" كل ضيوفه واحدا واحدا. بعد أن قدم قيصرة روسية قدم "فيونا" وقد بدا عليها مظهر الفخر والكبرياء، وعلق صاحب الدار بأن صلحها مع البارون ربما يخفي مؤامرة مشكوكا فيها ولكن "فيونا" في قرارة نفسها كانت تعلم أن الخطر الحقيقي يكمن في حبها لـ"ڤيك" لو حدث.

أنهى "هيبرت" عملية التعارف بأن قال:

- والآن.. اذهبوا لترقصوا بالخارج والتنزه في اليخت... وانتبهوا بشكل خاص لكل ما يحدث وافتحوا أعينكم على اتساعها، وبعد جريمة القتل لا يجب أن يُترك أي شيء للمصادفة ولا تنسوا أنكم جميعا مشبوهون.

ساد هرج عام واستطاع أن يعطي بصعوبة آخر تعليماته وتوصياته:

- إن عطلة نهاية الأسبوع ستنتهي بـ"بوفيه" طعام مساء غد خلاله يمكنكم أن ترفعوا من روحكم المعنوية وأن تظهروا مدى قوة استنتاجكم بتحديد من هو القاتل. والآن عليكم أن تتمتعوا يا أصدقائي فهناك جائزة للفائز. وخذوا حذركم من القاتل.

نهض معظم المدعوين في الحال في ضجة ناتجة من حركة المقاعد. اقترب "ڤيك" من "فيونا":

- ما الذي يعجبك أكثر يا عزيزتي؟ الرقص أم النزهة فوق اليخت؟ هالم تفضلي أن ننسحب إلى جناحنا كما كان يحدث في الأيام الخوالي الحلوة؟

- أعتقد أننا لن نجد آثارا تدل على القاتل في حجرتك.

كانت تتحرق شوقا لأن ترقص ولكنها كانت تعرف أن حذاءها الذي استعارته من "روزي" كان ضيقا جدا ولن تتحمله أكثر من ذلك.

قالت:

- هيا بنا أحسن نقوم بجولة صغيرة.

سحبها للخارج -وعلى شفتيه ابتسامة واسعة- نحو الطريق المؤدي إلى الأودية الصغيرة حتى يصلا إلى البحيرة السعيدة. فكرت "فيونا" في قصة "سندريلا" وأخذت تستنشق الهواء العليل.

سألها "البارون":

- فيم تفكرين؟

- أفكر في أنني شربت من عصير التفاح كمية تكفيني العام القادم، وأن تلك الوجبة كانت فاخرة ودسمة، وأنني أستمتع بوقتي كثيرا.

- لقد نسيت شيئا ما..

سألته في دهشة:

- ماذا؟

- إنك أنت نفسك مندهشة لأنك مستمتعة!

- إن هذا.. فعلا صحيح.. لقد توقعت شيئا آخر من أجل عطلتي.

قال لها وهو يحيط كتفيها بذراعه القوية:

- دعيني أخمن. لقد اخترت الهدوء والوحدة داخل متحف ضخم حتى تستطيعي أن تعجبي -براحتك- بكل الأعمال الفنية المعروضة الفاخرة، أو ربما تكونين ضيفة الشرف في مزاد بيع علني من أجل جمعية الإحسان والبر المشهورة؟

انفجرت "فيونا" ضاحكة وهي تهز شعرها الطويل ثم ابتعدت نحو أكوام من الأشجار الصغيرة محاطة بأشجار الأرز العالية تضيئها أشعة القمر الفضية في أماكن متفرقة.

قالت له وهي تخلع حذاءها الضيق:

- تعال اجلس لحظات. إن افتراضاتك مثيرة ولكن قدمي المسكينتين لم تعودا تتحملان.

زفرت في ارتياح. جلس "ڤيك" بجوارها وقد تاثر من رقتها خاصة في حركاتها. قال وهو يمسك بقدمها ليدلكها:

- دعيني أخفف عنك.

قبل أن تتمكن من أن تفعل شيئا بدأ تدليك قدميها المتعبتين. قالت له:

- أنت تعمل مدلكا.. أليس كذلك؟

لم يجب "ڤيك" على سؤالها وبدأت تحس بالارتياح الشديد وهمست:

- إن ما تفعله رائع حتى لو كنت القاتل.

أجابها وهو يضحك:

- إنك تدهشيني يا كونتيسة حقا! نحن بمفردنا هنا في هذا الكهف من الخضرة وأنت تحت رحمتي.. ألا تحسين بالخوف؟

- ولماذا يجب عليّ أن أحس بالخوف؟

قالت في نفسها: "يجب عليّ أن أحس بالخوف لأنه يمكن أن يغويني.. ولكن لا.. إن ذلك أمر مستحيل. إن بارونا جذابا لن يهتم بامينة مكتبة بسيطة يملأ النمش كتفيها".

رد:

- أنا.. أنا لا أخافك حتى وإن كانت الكونتيسات غالبا ما يكن عنيفات وانفعاليات.

صعدت كفاه حتى عقبها وأحست "فيونا" بأن ضربات قلبها تسارعت بشكل خطير. حاولت أن تخفي اضطرابها تحت قناع الكونتيسة المتكبرة.

استطاعت أخيرا أن تقول حتى تتمالك جاشها:

- حسنا يا بارون! ولكننا نستطيع أن نتماسك أفضل من أي شخص آخر.

رضيت عن نفسها واستسلمت لعملية تدليك قدميها ثم فجأة انتبهت إلى غرابة تصرفها فنهضت بعنف.

angelo8 www.rewity.com

وقالت بصوت متحكم وثابت:

- من فضلك يا بارون كفى تدليكا.

لم يتعود "فيك هارينجتون" على تلقي مثل هذا التصرف من النساء، و لو حدث يفسره بأنه نوع من الدلال ولكن الكونتيسة لا تشبه أي امرأة أخرى فانسحب وأطاعها في صمت.

وضعت قدميها على الأرض.

قال لها وهو يضحك عاليا:

- هل تعلمين يا كونتيسة أنني على وشك أن أقع في حبك؟

- هذا رائع يا عزيزي؛ لأنك تتبع نص التمثيلية بدقة مدهشة يا "فيك"! أجابها وهو يقترب منها قليلا:

- أتناديني "فيك"؟ هذا ليس عدلا في الحقيقة. أنت تعرفين اسمي الأصلي وأنا لا أعرف عنك شيئا.

- عدل؟ ومن تحدث عن العدل؟ أنا لم أقرأ عن ذلك في دعوتي. هيا نعود لأنني متعبة.

نهضت. سقط شعاع من القمر فجأة ليضيء عيني الشابة الخضراوين؛ اضطرب "فيك" منهما.

العديد من النساء كن يستسلمن له، وهذه أول مرة -من سنوات عديدة- ترد عليه امرأة ببساطة أنها تريد أن تنام وترتاح بمفردها. إن "فيونا" في حاجة لأن تنام وبمفردها. أخذت تبحث عن حذائها أو بالأحرى حذاء "روزي"، وفي وسط العتمة لم يلاحظ انفعالها. ورغم ثوبها المثير وزينتها الجديرة بأميرة إلا أنها كانت لا تزال فتاة صغيرة.

قال لها:

- ها هو الحذاء.

ركع حتى يلبسها الحذاء بينما استندت على كتفه:

- شكرا لك. إنني أحس أنني "سندريلا".

قال لها -وهو يقودها عبر الحدائق بيد رقيقة نحو الشرفة المضيئة بشدة في دار "هارينجتون"-:

- من فضلك لا تهربي مني.

فيما بعد وسط الليل أخذت "فيونا" تتمشى داخل جناحها وهي تستمتع لأقصى حد بالساعات التي مرت. إنها في بلاد العجائب.

بالخارج كان نسيم خفيف يهز أفرع أشجار السرو السامقة وكانت لاتزال تسمع ضحكات بللورية صافية بالقرب من مصابيح الحديقة التي تضيء العتمة.

استنشقت الشابة الهواء برقة وخرجت بخطوات هادئة إلى الشرفة الخاصة بجناحها. تذكرت شقتها التي تشبه العش الصغير في الطرف الآخر من "فيلادلفيا".. أي في عالم آخر. عادت إلى حجرتها الفخمة.. كل شيء فيها كامل: من الألوان الكريم للستائر الحريرية والفراش إلى الأثاث المصنوع من الكروم اللامع وألوان الستائر الباستيل. كان من الصعب عليها أن تتصور أصدقاءها ومعارفها يعيشون في هذا الجو.

كانت "فيونا" تحب عملها كمديرة لمكتبة "ثورن" التي وهبتها للمدينة عائلة الرجل المحسن الذي يتولى رعايتها وكفالتها، والتي توجد في البيت الرئيسي لأملاك الأسرة، وكانت تحب أيضا الحديقة المفتوحة أمام كل أصدقائها في أي ساعة من اليوم. فكرت فيهم وهم يطلبون "البيتزا" وسط الضحكات والنكتات، ثم فكرت في "آرشي" ذلك الرجل العجوز الذي يعيش في الإسطبل القديم المجاور فانفجرت ضاحكة. حقا إن هذين العالمين مختلفان تماما.

ثم هناك "فيك".. إنها تتصوره ممددا بلا اكتراث فوق سريره.. حتى عندما كانت خصلات شعره تتطاير بلا انتظام مع الريح فقد ظل فاتنا. إن ملامحه طبيعية وحديثه راقٍ.. ولكن من هو حقا؟

همهمت وهي تنظر إلى القمر لآخر مرة:

- إنه مجرد حلم رومانسي!

فجأة انطلق صراخ مزق سكون الليل تبعته طلقة نار ثم سمعت بوضوح تام خطوات القاتل وهو يهرب ولكنها كانت عاجزة فيما بعد عن تذكر تسلسل الأحداث.

تبعت غريزتها وجرت -وذيل ثوبها يتطاير خلفها- عبر الحدائق المشذبة بعناية في اتجاه البحيرة.

الفصل الثاني

عندما وصلت "فيونا" لاهثة الأنفاس كان هناك بالفعل تجمع صغير على ضفاف البحيرة.

صاحت:

- ما الذي حدث؟

أجابها "هيبرت هارينجتون" الذي كان مرتديا حلة سهرة أنيقة لهذه المناسبة:

- يبدو أن بين أيدينا جريمة قتل.

اقتربت الشابة -وهي ترتجف- من الدائرة الصغيرة للفضوليين ولمحت جسدا مسجى فوق الرمال وتعرفت على واحد من المدعوين.

وصاحت:

- أوه يا إلهي! لقد نسيت.. بالتأكيد إنها جريمة قتل! لقد اعتقدت أنها...

اقتربت أكثر واطمأنت من غمزة العين التي وجهها إليها القتيل

angelo8
www.rewity.com

الزعوم قبل أن يحملوه للمنزل.

قال صوت دافئ خلفها وهي تحس بكفين توضعان على كتفيها:

- هل يمكننا أن نعرف أين كنت الساعة الثانية عشرة ودقيقتين؟

كان المتحدث هو "ڤيك". كان لايزال مرتديا حلة السهرة وقد وضع السترة بإهمال على كتفه وشمر كمي قميصه عن ذراعيه البرنزيتين.

أجابته وهي تبتسم:

- إنني لم أخلق لحياة الكونتيسة حقا يا "بارون". لقد اعتقدت حقا أن جريمة قتل حقيقية وقعت وأوشكت أن أستدعي الشرطة.

أخذ البارون يضحك. وقال وهو يسحبها جانبا:

- أعترف أن الأداء كان مؤثرا وحقيقيا.

مر بينهما رجل قصير له شارب كبير يشبه "هرقل بوارو" في روايات "أجاثا كريستي" البوليسية.

همست الشابة:

- خسارة أننا لسنا في قطار الشرق السريع! لقد كان دائما حلما من أحلامي.

- إذن عليك أن تركبيه.

همت "ڤيونا" أن ترد عليه عندما أدركت أنها ترتدي قميص النوم شبه الشفاف البعيد تماما عن الحشمة. عقدت ذراعيها بسرعة على صدرها.

سألها "ڤيك" وهو لايزال يبتسم:

- ألازلت تشعرين بالبرد؟

اعترفت له وهي محرجة وتبلل شفتيها بلسانها:

- نعم وأعتقد أنه من الأفضل أن أعود.

صاح:

- قبل أن تحضري الاستجواب؟ لا تفكري في ذلك يا كونتيسة! إنك تعرضين نفسك لإلقائك في غياهب السجن!

هزت رأسها:

- على الأقل هناك لن أصاب بنزلة شعبية. تصبح على خير يا "بارون".

لحق بها البارون في قفزتين:

- لست متأكدا أنه من الحرص أن تعودي بمفردك والقاتل موجود في الجوار.

ردت عليه -وهي متضايقة-:

- أوه!

لابد أن لديه حجة غياب.. لابد أنه كان مع إحدى النساء الحسناوات المدعوات لقضاء عطلة نهاية الأسبوع واللاتي لم يكففن عن مغازلته.

أحست بوخز في قلبها وفضلت أن تغير موضوع الحديث بسرعة.

قالت له:

- هل يمكنني أن أستعير سترتك يا "ڤيك"؟

أجابها وهو يتظاهر بالأسف:

- بالتأكيد.. كان من الواجب علي أن أفكر في ذلك.

بالتأكيد يفضل أن يراها بزيها الفاضح.. إنه لم يكف عن التفكير فيها.

قال:

- هل أنت أحسن الآن؟

- أحسن بكثير.. شكرا.

- إلى أين سنهرب الآن؟

- لست أعرف برنامجك أيها البارون العزيز ولكن بالنسبة لي فإنني سأذهب مباشرة إلى الفراش.. لقد تجاوزت موعد نومي المعتاد بوقت كبير.

- لابد أن لك حياة مخططة ومنظمة!

ردت عليه بضحكة ساخرة:

- ليس بالضبط. ومع ذلك ليست جريمة انني قابلت اناسا أرادوا أن ينظموا حياتي..

قال لها وهو يمسك بيدها:

- هل يحدث -أحيانا- أن تبوحي بأسرارك؟

ردت عليه وهي تنظر إليه بعينيها الخضراوين :

- لا.. كل ما هناك انني قليلة التنظيم ولكنني نجحت في أن أعمل هكذا.. أعطني مكتبا لا تعلوه ذرة غبار ونظيفا وخاليا من الأوراق فأزدهر.

أخذت أصابع "ڤيك" تداعب إحدى خصلات شعرها الأسود الفاحم. كان يتصورها خلف مكتب بدون زينة الوجه.

قالت "فيونا" وهما يقفان أمام الأكمة الصغيرة التي مرت خلالها من دقائق مضت:

- حسنا.. لقد وصلنا يا "ڤيك" تصبح على خير.

سألها البارون:

- هل يمكنني الدخول؟

صاحت فورا وعفو الخاطر:

- ولماذا أسمح لك بالدخول؟ أقصد أن الوقت متأخر يا "ڤيك"، وأرجوك أن توفر ضيافتك للغد.

أخذت تضحك في دلال وهي تعيد له سترته. حدق فيها "ڤيك" لحظات ثم قرر أن يتبعها. كانت قد أعادت له سترته وتوغلت بين الشجيرات. استدارت الشابة.

قالت في ضجر:

- من المؤكد أنك تتمتع بموهبة الإلحاح.

- مجرد بضع دقائق يا كونتيسة من فضلك!

كانت عيناه ترسلان دائما وميضهما الداكن ولكن لهجته كانت ودودا. أحست "فيونا" لمدة ثانية واحدة أنه وحيد لدرجة أنها سمحت له بالدخول وقالت في تأكيد:

- فقط بضع دقائق؛ لأنني في أمس الحاجة للنوم.

همس وهو يدخل الحجرة:

- بالتأكيد حفاظا على جمالك.

أجابته -وهي ترفع نظارة القراءة وبعض الكتب من فوق الأريكة لتسمح له بالجلوس-:

- إنني أسخر من هذه الأشياء؛ فالحياة قصيرة حقا حتى أعطيها أي اهتمام.

كان "ڤيك" مبهورا من رشاقة حركاتها. ارتدت سترة طويلة أظهرت جمال بشرتها المرمرية، وشدتها على جسدها بقوة حتى تخفي أكبر جزء من جسمها. كانت بساطتها تجعلها أكثر إغراء لدرجة أنه ظن أنه التقى بالكونتيسة الحافية في الفيلم السينمائي الشهير.

سألته ببراءة:

- حسنا يا بارون عن أي شيء تريد الحديث؟

لم يكن لديه أدنى فكرة. عرف أنه لم يكن أمامه أي فرصة لمغازلتها هذا المساء ومع ذلك أشعلت في قلبه نارا ضارية جعلته لا يستطيع أن يتركها هكذا.

- إنني.. إنني أجدك غريبة جدا.. إنه أمر محير؛ لأنني أشعر وكأنني مراهق في أول موعد غرامي له.. أعتقد أنني تعلقت بك..

أخذت "فيونا" تلعب بعصبية في شعرها الطويل. ودت لو أنها ضحكت ولكن الانفعال عقد حلقها ومع ذلك نجحت في الابتسام والتقت عيناها بلون الزمرد بعيني البارون السوداوين. وقالت:

- شيء غريب حقا.. هذه أول مرة يقول لي فيها أحد هذا.. لابد أن

www.ewity.com

شخصيتي طغت عليّ.

- هل تحبين هذا النوع من التغيير في سير الحياة؟

- هذا يعتمد على..

- على ماذا؟

اقترب منها وتساءلت الشابة: لماذا أصبح تنفسها ثقيلا هكذا؟ كم ودت أن تحدثه عن حفلات البيتزا على الأرض في صالونها ولكنها وجدت نفسها عاجزة عن نطق كلمة واحدة.

- تحدثي.. ليس هناك ما يدعوك للخوف مني.

إنها ليست متأكدة من عدم الخوف منه بل إن هذا بالذات ما يجب أن تحسه قبل أي شيء.

- أكرر عليك يا كونتيسة: إنني أعتبرك حسناء ومختلفة وأريد أن أتمتع تماما بهذين اليومين.

صاحت بصوت مخنوق من الحرارة المتصاعدة داخلها:

- هذا يكفي يا بارون.. أعتقد أن حكاية جريمة القتل المزعومة قد غذت خيالك الجامح.

- وإذا كان الأمر لا يتعلق إلا بالروح.

- أنت حتى لا تعرفني! ربما أكون ممثلة أو امرأة سيئة السمعة أو..

زادت الصعوبة التي تواجهها "فيونا" في إخفاء اضطرابها. ووسط انفعالها لم تعد تعرف ماذا تفعل.

- أنا لا أهتم بما تفعلينه أو تكونينه. إنني فقط أريد أن أعرفك وأعرف أي كتب تطالعينها وماذا تضعين في قهوتك..؟

قاطعته بلهجة شبه جافة:

- أنا لا أشرب القهوة..

- أريد أن أعرف لماذا يحمر وجهك عندما أكون بجوارك. في الوقت الذي تبدين فيه حكيمة جدا وواثقة من نفسك.

- ولكني في منتهى الكفاءة..

- إنني أعشق هذه الثقة في النفس.. وعلى أية حال فإنني موجود هنا باستمرار بجوارك.

أغمضت عينيها واستسلمت لأحلامها ثم فتحتهما:

- نعم أنا ألاحظ ذلك.

أخذت عينا البارون السوداوان تلتهمانها، ولم يسبق لـ"فيونا" أن أحست بمثل ما تحسه في تلك اللحظة من اضطراب. أغمضت عينيها وأحست بتيار من الهواء البارد ينساب على وجهها. عندما فتحت عينيها وجدت أن البارون لم يعد قادرا على التحكم في نفسه فنهض وخرج بعد أن طبع قبلة سريعة على خدها بعد أن قال:

- لقد تأخر الوقت وأنت في حاجة إلى الراحة.

أجابته بصوت خال من أي تعبير:

- نعم.. أنا متعبة للغاية.

قال -وميض من المكر يلمع في عينيه-:

- أتعرفين أن النمش فوق كتفيك يعجبني جدا. هيا اذهبي الآن للتستريحي وإلى اللقاء صباح الغد.

ثم أغلق الباب واختفى في الدهليز.

###

قال "فيك" بمرح صباح اليوم التالي من فوق مقعد المكتبة العالي:

- يا كونتيسة.

تحولت عشرات الأنظار نحو الشاب الذي لم يفت مزاجه المرح على أحد بينما تنتظر "فيونا" في الطرف الآخر من الحجرة فارسها الخادم. كانت "روز ماري" قد اختارت لـ"فيونا" -بالنسبة لملابس النهار- طاقما يليق بالعرض في أجرأ مجلات عرض الأزياء: كانت قد حشرت نفسها حشرا في جيبة ضيقة من التيل الأسود قصيرة جدا وبلوزة من الحرير

الأخضر مفتوحة الصدر أظهرت عنقها البض، وأضافت "فيونا" إلى هذا الزي لمساتها الشخصية عندما عقدت شعرها الطويل بشريط من نفس اللون.

أجابت:

- صباح الخير يا بارون.

كانت الحجرة تغمرها الشمس. حيث برأسها بقية المدعوين الجالسين هنا وهناك على الأرائك الوثيرة. قالت لزعيم المافيا السيسيلي:

- يبدو عليك الحبور هذا الصباح أيها الأب الروحي العزيز.

- شكرا أيتها الكونتيسة.. إنني احس بأني في أروع حال خاصة عندما أشترك في تحقيق جريمة مثيرة.

ردت "فيونا" ابتسامته بمثلها وتركت "ڤيك" يقودها نحو أريكة. ظهر خادم في الحال بفعل السحر ليقدم لها شرابا ساخنا وفطائر الكرواسان. قال البارون بصوت مرتفع متجاهلا الابتسامات حوله:

- إن الكونتيسة لا تشرب القهوة.. الشاي من فضلك هو المطلوب.

- إن لك ذاكرة قوية يا عزيزي البارون.

- إن ذلك لم يحدث إلا مساء أمس فقط.

حاول الالتصاق بها.. لاحظت "فيونا" نظرات الاعتراض على بعض الوجوه فحاولت الا تبدو محرجة. قالت بصوت عال بعد أن استعادت لهجتها المتعالية:

- نعم.. بالتأكيد.. مساء أمس..

أحست بالاضطراب أمام نظرات المدعوين المتسائلة والمستهجنة في آن واحد فالتفتت نحو حارس الصيد وسألته وهي تنظر في وجهه عندما لاحظت أنه يحاول يائسا أن يلفت انتباهها، وبعد أن همس في أذنها أن تحذر من البارون؛ لأنه القاتل:

- كيف يمكن أن تقول ذلك؟

همس الرجل وهو يضحك بصوت مرتفع:

- إن ذلك تسمعه الأذن المصغية.

ظهر المحقق فجأة في مدخل الحجرة مما أثار بعض الهمهمة بين الحضور وأعلن في انفعال:

- لقد عثرنا على سلاح الجريمة.. لقد قُتل "لوسيوس مارش" بطعنة إبرة قاتلة واحدة، ويمكنني إذن البدء في الاستجوابات.

أخذت يد "ڤيك" تربت على كتف "فيونا" بإيقاع يتمشى مع أسئلة مفتش التحقيقات، وعندما اقترب المحقق منهما ليستجوبهما ذكرا موعدهما في جزر "الأنتيب" وهما يضحكان.

حوصرت الشابة أثناء الغداء بمدعو آخر غير البارون مما أتاح لها الفرصة لتسترد أنفاسها ولكن الهدوء لم يدم سوى فترة قصيرة.

ما إن قُدمت الحلوى حتى أعلن "هيبرت" أن الساعات التالية ستخصص للبحث عن الأدلة، وفي الساعة السادسة مساء كان على المدعوين أن يجتمعوا مرة ثانية لحل اللغز.

قال البارون الذي اقترب في هدوء من "فيونا":

- إن لدي خيطا.. اتبعيني.

دخل بها في طريق ضيق قادهما إلى ضفاف البحيرة المغطاة بالأشجار. سارت خلفه كظله وهي مبهورة من جسمه الرياضي ومشيته الرشيقة. غمر الشابة إحساس بأنه لم يعد في رأسها سوى عصير التفاح وجنون لا مثيل له. توغلا أكثر في الغابة ثم وصلا إلى تقاطع طرق.

همست له في نبرة غامضة:

- ما المفروض أن أبحث عنه؟

- عن ثعابين.. إن المنطقة مملوءة بها.

صاحت وهي تتعلق في ذراعه:

- "ڤيك"! إنني أعشق كل الحيوانات ولكني أحس برعب فظيع من الزواحف وساقاي... عاريتان.

خفض نظره ليعجب بساقيها الطويلتين المخروطتين. لقد كانتا فعلا عاريتين مثل فتحة الصدر والكتفين.

همس لها مطمئنا:

- اطمئني يا كونتيسة.. أنا موجود معك.

قالت مقترحة عليه بصوت مرتجف:

- ربما نستطيع أن نبحث عن أدلة في مكان آخر ليس به ثعابين.

قال لها وهو يسير إلى سهل فسيح:

- هناك بيت صغير بعيد بعض الشيء، هل ترينه؟

- أعتقد أنه مملوء بالأدلة.. هيا بنا إليه.

استأنفا السير وهي شبه ملتصقة به وسرعان ما وصلا إلى الأرض الخلاء الغارقة في أشعة الشمس.

قالت:

- والآن يا بارون أنت تعرف نقطة ضعفي.

سألها -وهو ينظر إليها في مكر-:

- هل هي نقطة ضعف واحدة؟

بدا وجهها يحمر خجلا وقالت له تطمئنه دون أن تجرؤ على الابتعاد عنه:

- هذا صحيح. وعدا هذا الخوف من الثعابين والزواحف فإن لي إرادة من فولاذ.

- أنت مخطئة يا كونتيسة.. ليس الفولاذ هو ما أحسه عندك وإنما الحمم البركانية الثائرة.

- وماذا عن أدلة الجريمة؟

قال -وهو يحك رأسه متظاهرا بالتفكير-:

- أوه.. أين ذهب عقلي؟ لابد من وجود أدلة هنا.

استسلما لسعادة وجودهما معا وبدأ يبحثان عن شيء لا يعرفان ما هو.

سمعا صوت امرأة خلفهما يقول بلهجة ساخرة:

- يبدو أن كل الناس جاءوا إلى هنا بحثا عن الأدلة.

ابتعدت "فيونا" بالغريزة عن "ڤيك" رغم رعبها الشديد من الثعابين المزعومة، ثم ألقت نظرة غيظ على الممثلة التي استندت في عدم اكتراث على باب المنزل بجوار جسد حارس الصيد العملاق وهي تراقبهما دون خجل.

تابعت الممثلة حديثها:

- أرجو أن تعذرانا فلم نكن نريد مقاطعتكما. لقد هممنا بالرحيل.

قال "ڤيك":

- من؟ "جوانا"..؟ لقد توقعت أنك ستأتين تتسكعين هنا.

أعجبت "فيونا" باللهجة الهادئة والودود للبارون. لقد كانت عاجزة تماما عن أن تُخرج كلمة واحدة من فمها. لم يسبق لها أن وجدت نفسها في موقف أسيء تفسيره من قبل. لف "ڤيك" ذراعه حول وسطها وتنحيا جانبا حتى يدعا الثنائي التعس يخرج.

سألهما:

- بالمناسبة هل حللتما اللغز؟

أجابت "جوانا" بابتسامة غامضة:

- ليس لدينا دليل.

استطاعت "فيونا" أخيرا أن تقول:

- حسنا.. أعتقد إذن أننا نضيع وقتنا هنا.

قالت "جوانا":

- إنني لا أسمي هذا ضياعا للوقت يا كونتيسة. أيدها "ڤيك" قائلا:

angel08 www.rewity.com

- وأنا كذلك.

استمرت "فيونا" في حديثها بعدما استعادت الثقة التي يمنحها إياها دور الكونتيسة:

- ومع ذلك لو عملنا جميعا معا فربما عثرنا على شيء ما.

ومع ذلك كان ذهنها على بعد الف ميل من المكان يطير على أجنحة الحب والعاطفة. إنها لم تتعود على المغامرات التي لا غد لها ومع ذلك يمارس "البارون" عليها تاثيرا مدمرا. حدس "ڤيك" أفكارها وحدجها بطرف عينه. من المؤكد أن عطلة الأسبوع هذه مليئة بالإثارة. بدءوا يعودون إلى طريق الدار الرئيسية لآل "هارينجتون".

همس "ڤيك":

- أيا كان ما تظنينه يا كونتيسة فلايزال أمامنا ساعات طويلة قبل أن نعود إلى عالم الواقع.

منحوا بعض الوقت من الراحة قبل تقديم آخر شراب من الكوكتيل، وكان على كل مدعو أن يستغل فترة الراحة هذه في محاولة حل اللغز لآخر مرة ويحزم أمتعته وينتعش.

أما بالنسبة لـ"فيونا" فقد استرخت فترة طويلة في شرفة جناحها، وكانت الدلائل القليلة التي جمعاها غير كافية.

قضيا بعد الظهر في النزهة كعاشقين سعيدين. لم يكن من المهم كثيرا أن تعرف شخصية القاتل بقدر اهتمامها بالخروج سليمة من هذا المازق ومن هذه الدار المرحة.

قالت لنفسها لتطمئنها: إنه لا داعي للقلق: فكل شيء سينتهي على خير. والبارون والكونتيسة سيمثلان دور العاشقين لبضع ساعات قادمة ثم ينفصلان ويذهب كل منهما إلى حال سبيله.

أخذت ترتب ملابسها -بدون حماس كبير- في حقيبة السفر الصغيرة التي أعارتها لها "روز ماري".

ثم راجعت لآخر مرة زينتها.

الفصل الثالث

عندما وصلت "فيونا" إلى الحديقة الشتوية الفاخرة -حيث يقام حفل الكوكتيل- انبهرت بالمنظر الذي رأته أمامها: كانت هنا وهناك على مختلف الموائد المغطاة بالمفارش الطويلة البيضاء قد رُصت باقات زهور الربيع الزاهية الألوان، وكانت الأبواب الزجاجية الضخمة قد انفتحت على الحدائق الغارقة في أضواء المساء بينما موسيقى حلوة تجلب السعادة على المنظر الهادئ السعيد.

امتد "بوفيه" فاخر الأطباق يتوج وسط الفناء وقد جذب انتباه عشرات المدعوين الموجودين في المكان ولكن البارون لم يكن موجودا فكرت "فيونا" أن الأمر غريب.. وأنها تعرف ذلك مسبقا. نادتها شقراء ساحرة الجمال تقوم بدور إحدى بنات أخي الضحية عبر القاعة الكبرى:

- تعالي انضمي إلينا يا كونتيسة.

اقتربت منها "فيونا" بخطوات خفيفة وهي تبتسم وتقبلت منها كأس

العصير التي قدمتها إليها، وفي الحال جرى نقاش حار بين المدعوين لتحديد من يكون هو القاتل.

مرت الأوراق وأقلام الحبر فوق صوانٍ من الفضة، وكان على كل مدعو أن يسجل اسم القاتل والأدلة التي عثر عليها أثناء النهار.

سألت ابنة أخي القتيل "فيونا" بلهجة بريئة:

- يبدو أنك لم تجمعي عناصر كثيرة يا كونتيسة. ماذا فعلت -إذن- طوال فترة بعد الظهر؟

قال صوت مألوف جعل الشابة ترتجف:

- لقد جنبت البارون العزيز أن يشعر بالجرح.

أخذت المجموعة الصغيرة تضحك.

قال رجل المافيا الإيطالي:

- آه.. كم أتمنى أن أكون في سنك يا "ڤيك".

قالت "فيونا" تطمئن رجل المافيا:

- ولكنك لازلت شابا.

- شكرا يا عزيزتي ولكني لست شابا بالدرجة التي أصبح فيها شريكا لكونتيسة فاتنة. لحسن الحظ أنني لست كذلك وإلا أصبت بأزمة قلبية.

ردت إحدى السمراوات الفاتنات:

- هيا أيها الأب الروحي! إنهم يقولون: إن الحب مفيد للقلب.

أمام تلك الكلمات أحست "فيونا" بالحمرة تخضب خديها. تظاهرت بالاهتمام بديكور الموائد. قال لها "ڤيك" وهو ينتحي بها جانبا:

- لقد احمر وجهك يا كونتيسة.

- هذا غير صحيح!

- تناولي إذن كاسا أخرى من الكوكتيل فإنه سيفيدك.

- لا.. شكرا.. لابد أن أكون منتبهة وأنا أقود السيارة عائدة إلى بيتي.

- بالضبط.. إنني أحب أن..

قاطعته في الحال؛ لأنها لا تريد منه أن يخترق عالمها:

- لا.. لقد أردت فقط أن أقول: إن لدي سيارتي.

كان الحزن يشوب صوتها فرد عليها:

- أعلم أن هذا الحفل التنكري على وشك الانتهاء وأعلم أن ذلك يضايقك.. اعترفي بذلك!

- هذا صحيح. ولكن لا تنس أننا لسنا سوى شخصيتين في التمثيلية. والحقيقة شيء آخر.

- لماذا؟

- لأنها هكذا.

- أنا أريد أن أقابلك ثانية يا كونتيسة.

- تقابلني؟ اسمعني يا بارون! لقد قضيت عطلة نهاية أسبوع رائعة ولكن طريقينا سيفترقان.

قاطعهما -فجأة- صوت "هيبرت هارينجتون" الراعد والذي غطى على كل الضوضاء:

- مساء الخير أعزائي الضيوف.

أحست "فيونا" بالارتياح لقطع حديثهما المؤلم وأخذت نفسا عميقا.

تابع سيد المكان:

- أصدقائي الأعزاء.. إن مخبرنا يود أن يقول لكم شيئا.

ترك مكانه للرجل القصير ذي الشارب الذي قال:

- سيداتي.. سادتي.. لقد حان الوقت لمعرفة الحقيقة. من فضلكم أعطوني كل الأوراق.

عندما وضع المذكرات الصغيرة في كاس من الفضة سرت همهمة منفعلة في دائرة المدعوين.

قال المخبر موجها الحديث نحو "فيونا" و"ڤيك" اللذين انتحيا جانبا

angelo8 www.rewity.com

منعزلا:

- أرى أن البعض لم ينزعجوا أبدا من وجود قاتل بيننا.

سأله "ڤيك":

- هل معنى هذا أننا أكثر الناس تعرضا للاشتباه؟

قال أحد المدعوين:

- إن البارون هو وريث القتيل.

قال آخر:

- ولكنه لا يضع أحمر شفاه.. لقد عثرنا على أصبع طلاء الشفاه.

سألت "جوانا":

- وماذا عن أصبع أحمر الشفاه الخاص بالكونتيسة؟

سألت "أوليف بيلي":

- ولكن ما دافعها لارتكاب الجريمة؟

قال المخبر وقد أسعده هذا النقاش:

- رائع.. رائع! أرى أنكم جميعا فكرتم كثيرا، وسنكتشف بسرعة من فاز بالجائزة وهي رحلة بحرية رائعة فوق يخت السيدة والسيد "هارينجتون" بصحبة أعز أصدقائه مع الطعام والشراب الفاخر. والآن كفى نقاشا وهيا إلى العمل.

رفع المخبر حاجبيه وأشعل غليونه بحركة مسرحية:

- أحب أن أذكركم أن الضحية هو "لوسيوس مارش". وإلى جوار زوجة الضحية يوجد البارون "فون بلاستر".

كان المخبر يهز رأسه نحو الحسناء الشقراء الجذابة -التي سبق أن قدمت كاسا إلى "فيونا"- وإلى أختها هي، وهي امرأة عصبية كانت تشعل سيجارة من سيجارة.

تحدث المخبر طويلا مفندا الدوافع واحدا وراء الآخر، ولكن "فيونا" لم تكن تسمع شيئا؛ لأنها كانت شاردة في أفكارها التي تدور حول البارون

الذي قال مازحا:

- اطمئني يا عزيزتي الكونتيسة.. لو كنت مذنبة فساتمكن من إخراجك من هذا..

- وإذا كنت أنت المذنب؟

- أنا واثق من أنك ستفعلين ما كنت أعتزم أن أفعله معك. كيف يمكننا أن نتحمل بعد ذلك أن ننفصل عن بعضنا بعضا مرة ثانية؟

- آه.. أعتقد أننا أخيرا سنعرف اسم القاتل.

طبع قبلة على شعرها ثم قال دون مقدمات:

- لقد كان معروفا أن "لوسيوس مارش" من الهواة -المتذوقين- للفن ومعروفا أيضا بمجموعته الفريدة من اللوحات. وأنت تعرف ذلك يا سيد "بويل"!

وجه هذه العبارة فجأة نحو حارس الصيد الذي كان جالسا بجوار "فيونا" والذي رد:

- بالتأكيد كنت أعرف ذلك مادمت أعمل عنده فلست أعمى.

- أعمى! بالتأكيد لم تكن أعمى بل إن لديك فكرة دقيقة عن قيمة أعماله الفنية الثمينة.

- بالتأكيد فإن البارون لم يكف عن الحديث لي عن مدى قيمة تلك المجموعة التي كان يحلم باقتنائها.

ضاق حاجبا "ڤيك" وأجاب في الحال وهو يضحك:

- لديّ حجة غياب.

فكرت "فيونا" أن تلك الحجة عبارة عن حسناء من المدعوات. قال "ڤيك":

- لقد ظللت أتناقش مع "سيلفيا هارينجتون" حتى الساعة الثانية صباحا في المكتبة.

اعترف المخبر:

www.rewity.com

- هذا صحيح. على أية حال فقد كان البارون مشغولا في البحث عن كونتيسته بحيث لم يكن في باله فكرة الجريمة.

ثم أشار بأصبعه نحو ابنة أخي الضحية الشقراء:

- ولكن أنت يا آنسة "مارش" أين كنت ليلة أمس عند منتصف الليل؟

ردت الآنسة المذكورة بلهجة متعالية:

- أنا؟ ولكن هذا مثير للسخرية. من الأفضل أن تسأل أختي. فهي التي عندها إبر شغل التريكو.

همهم المخبر في لهجة درامية:

- مؤكد.. ولكن إبر التريكو يمكن استعارتها بواسطة أي شخص. شخص يمكن مثلا أن يسرق أعمال السيد "مارش" الفنية ويبدلها بنسخ مقلدة.

أخذ يحدج حارس الصيد. صرخ الأخير وهو ينهار بجوار "فيونا" التي لجأت إلى "ڤيك":

- لقد كانت فكرة "جانيس".

همهم "ڤيك":

- مرحبا بك يا "فيونا"!

أكمل الرجل القصير ذو الشارب وهو يقهقه:

- بالتأكيد هي فكرة "جانيس". كان عمها قد بدأ يشك فيها أنها على علاقة بحارس الصيد في عملية استبدال لوحاته وكان يستعد ليحرمها الميراث، وعندما تقتله وتتهم أختها بقتله فإنها تضاعف بضربة واحدة ثروتها مما يساعدها على أن تعيش أياما سعيدة مع عشيقها حارس الصيد.

انطلقت عاصفة من التصفيق بعد هذه الكلمات الأخيرة، وكانت "فيونا" لاتزال ملتصقة بـ"ڤيك" في خوف وذهنها شارد على بعد ألف كيلو متر.

استأنف "هيبرت هارينجتون" بعد ذلك:

- والفائز السعيد هو "أوتو بيلي" أعز أصدقائي والمعروف عند

الجميع تحت اسم "ستان ميلروز". حسنا يا "ستان"!

ابتسمت "فيونا" للفائز الذي صعد -تتبعه زوجته- الدرجات القليلة إلى منصة أقيمت لهذا الغرض حتى يشكر صديقه.

همس "ڤيك" في أذنها:

- أنا سعيد من أجلهما وساعمل على أن يستفيدا من الجائزة أحسن استفادة.

نظرت إليه الشابة نظرة تساؤل ولكنه أجاب عليها بابتسامة ملائكية.

قال "هيبرت":

- والآن يا أصدقائي.. لقد انتهت التمثيلية وليس أمامكم سوى الإسراع إلى البوفيه المفتوح والتعرف على شخصياتكم الحقيقية!

أخرجت كلمته "فيونا" من أحلامها بطريقة وحشية. شدت قامتها ونهضت وصحبها "ڤيك" جانبا.

سألها في قلق:

- ماذا هناك؟

حاولت أن ترسم ابتسامة. وردت:

- لا شيء.

- حسنا والآن يجب أن تكشفي عن اسمك الحقيقي.

-حسنا جدا أنا اسمي "فيونا فينيجان".

قال وهو يزن كل مقطع من اسمها :

- "فيونا".

- نعم بكل بساطة.. وأنت "ڤيك هارينجتون".

- بالضبط ولكني الثالث في العائلة: "ڤيك هارينجتون الثالث".

قالت وهي تضحك:

- لقد تشرفت حقا!

- أنا أموت جوعا يا "فيونا فينيجان" هل تصحبيني إلى البوفيه؟

صحبته -وهي تحس بالمرح- حتى البوفيه الذي كان متخما بالأطعمة

اللذيذة: من أسماك "السومون" المدخنة والكافيار وعصير التفاح.. ملأت الشابة بشراهة الطبق الخالي الذي ناوله لها "ڤيك". قال لها:

- يا كونتيسة..

صححت له في الحال:

- "فيونا"!

- أريد أن أقابلك ثانية يا "فيونا".. غدا إذا كان هذا ممكنا.

كان يتحدث بلهجة جادة. ردت عليه متسائلة:

- ولكن لماذا؟

- لأن أمامنا سنوات طويلة لابد من اللحاق بها يا كونتيسة.

- "فيونا" من فضلك يا "ڤيك".. لا أعتقد أن..

قبل أن تستطيع أن تكمل عبارتها أحاطت بهما مجموعة من المدعوين وأحست بالخلاص؛ لأنها ليست مضطرة لأن تشرح له أسباب رفضها طلبه. من الغريب أن التمثيلية قربت بينهما وأزالت كل الحواجز التي كان من الممكن أن تعترضهما ونقلتهما إلى عالم آخر بلا حواجز. لقد تشاركا ببساطة في المشاعر وفرحة وجودهما معا. أخذت تتأمل المنظر الجانبي لوجهه الأرستقراطي وقد أخذ المدعوون يتناقشون معه في مرح وكان من الواضح أن كلا منهم يعرف الآخر من زمن بعيد. تماما مثلها هي و"روزماري"، أو هي وبقية الأشخاص الذين يشكلون جزءا من حياتها. إنها حياتها الخاصة.. حياتها هي وليست حياة "ڤيك"..

نهضت فسألها:

- أين أنت ذاهبة يا "فيونا"؟

- إنني سأذهب بالضبط لمقابلة "سيلفيا هارينجتون".

قال في الحال:

- لا تتأخري.. إنني أحس بالشوق إليك فعلا.

هبطت في هدوء درجات الشرفة الأمامية للمنزل وهي تستنشق الهواء العليل ملء رئتيها وسط الليل الهادئ الرزين. إن "ڤيك" ينتمي حقا إلى هذا العالم السعيد ولكن من الواضح أنه ليس عالمها. لقد

نجحت التمثيلية تماما ولكنها أحست بأن عواطفها بدأت تثقل عليها وأنها لن تتحمل لو استمر الحال.

كانت تعرف ما عليها أن تفعله: أن تحزم أمتعتها قبل أن تتحول التمثيلية إلى مأساة. تقدمت بخطوات ثابتة بحثا عن مضيفيها اللذين وجدتهما في بهو الاستقبال.

قالت ببساطة:

- لقد حضرت لأشكركما.. لقد أمضيت عطلة نهاية أسبوع رائعة.

سألتها "سيلفيا" وقد بدا عليها الأسف:

- ألا تحبين حقا أن تبقي معنا بعض الوقت؟

ردت عليها بصوت مخنوق تعجبت له:

- أنا فعلا آسفة.. إلى اللقاء وشكرا.

شاهدت سيارتها "الفولكس" يحضرها أحد الخدم إلى الفناء الأمامي للقصر. أحست الشابة أنها قضت جزءا من حياتها في هذه الدار الفسيحة.

حيت للمرة الأخيرة "سيلفيا" ثم هبطت درجتين واستدارت فجأة. ثم قالت وهي تتلعثم:

- هل يمكن أن تقولي للبارون: إنني تمتعت كثيرا بصحبته وإنه.. ربما سنلتقي في جزر "الانتيب".

أجابتها "سيلفيا" بهدوء:

- أو في "فيلادلفيا".

كانت "فيونا" غارقة في أفكارها فلم تلحظ وميض المكر في عيني مضيفتها.

الفصل الرابع

جلست "فيونا" -في رقة- خلف مكتبها في المكتبة وقد علت وجهها ابتسامة حالمة، ثم فتحت كتابا كبيرا وبدأت في إزالة الغبار عنه، ثم عطست.

قالت لها صديقتها "روزماري":

- يرحمكم الله يا "فيونا"! أين كنت أثناء عطلة هذا الأسبوع؟

ردت على صديقتها بابتسامة تغيظها:

- كنت في "لندن" لمقابلة الملكة "إليزابث".

رفعت نظارتها إلى فوق شعرها. ردت عليها "روزماري" محتجة:

- يا لخفة دمك يا "فينيجان". إنني أطالب بتقرير مفصل ولا تنسي أنك كنت ترتدين ملابسي.

- في هذا... الحق معك فإنني لم أكن لأتجرأ أبدا على شراء مثل تلك الملابس.

- أنت لم تتصلي بي مساء أمس.

- لقد كنت منهكة.

- منهكة؟.. ما هذا..؟ لابد أن تشرحي لي كيف أن عطلة نهاية أسبوع فاخرة تنهكك؟

غاصت "روزماري" في مقعدها الوثير لتحتسي قهوتها.

- أنت تعلمين جيدا يا "روزماري" أنه ممنوع احتساء القهوة هنا!

ردت عليها صديقتها:

- وأنت ليس من حقك أن تبتسمي لي هذه الابتسامة المتحدية.

ثم أمسكت الكتاب القديم الذي كانت "فيونا" تقوم بتنظيفه وقرأت عنوانه ثم قالت:

- لا تقولي لي: إن "مقابر ما بعد الحرب" هو الذي يجعلك تضحكين.

- أنا أحب المقابر وعطلات الأسبوع.

- شيئا فشيئا ستمارسين السحر الأسود!

- ولكن لا.. لقد كان الأمر ببساطة رائعا، ولم أرتكب فيه أي ممنوعات تستوجب اللوم، والآن يا "روزماري" اعذريني لعدم قدرتي على أن أصارحك بكل تفاصيل عطلة نهاية الأسبوع الآن؛ لأنه لابد أن أقوم بإعداد تقريري لتقديمه لمجلس الإدارة الذي سيعقد بعد الظهر.

- إنني -أحيانا- أتساءل يا "فينيجان": لماذا اخترتك من دون الناس صديقة لي.

- وأنا كذلك ولكني مع ذلك سعيدة جدا؛ لأنك مجنونة تماما، وفي نفس الوقت لا مثيل لك في مساعدتي.

اتجهت "فيونا" بعد ذلك إلى باب مكتبة "ثورن" العامة. همهمت "روزماري" وهي تصحبها إلى عتبة المبنى:

- إذن كان عليك أن تمنحيني بعض الاعتبار.

قالت "فيونا" بسرعة وهي تستدير:

- لنتعش معا هذا المساء ويمكننا الحديث!

- لابد أن أقابل "فريد".

- ممتاز! سيسعدني أن أراكما معا وأنتما تغليان غيظا وغيرة وأنا أحكي لكما مغامرات الكونتيسة "فيونا فينيجان".

صاحت "روزماري" متجاهلة نظرات العابرين:

- اتعلمين أنني أنا و"فريد" فكرنا أن مغامرة عاطفية يمكن أن تنعشك وتعطيك بعض الحياة.

رضيت الشابة عما أحدثته من تأثير في صديقتها وهزت كتفيها بلا اكتراث ثم عبرت بوابة المكتبة لتدخل في جوها الرزين الهادئ.

###

قالت "فيونا" تنهي حديثها وهي ترفع رأسها نحو مستمعيها:

- وهكذا سيداتي سادتي يمكنكم أن تدركوا أن مكتبة "ثورن" العامة في سبيلها لتنويع أنشطتها وقد تم وضع أربعة عشر برنامجا موضع التنفيذ.

ابتسمت قبل أن تجلس. استانف "ليو ثورن" الحديث وهو رجل مهيب شعره أبيض:

- أحب أن أضيف شيئا لعرض الآنسة "فينيجان": كان والدي متحمسا لمدى فاعلية هذه الشابة حتى إنني ظننت انه سيهبها بيته، ولسوء الحظ انه مات قبل أن يرى النتائج السعيدة لحركته الخيرية.

ابتسمت "فيونا" ابتسامة واسعة للرجل الذي لم يمنحها الوظيفة فحسب وإنما أيضا قام بتمويل دراستها. إنها تعشق "ليو ثورن" الذي كان دائما سخيا وكريما معها.

ومع ذلك كانت تعتب عليه في شيء وهو أنه دعاها إلى دار "هارينجتون".. لقد كلفتها هذه الفكرة ليلة كاملة مسهدة لم يطرق النوم جفنيها. لقد قضت طوال الليل تطاردها وجوه بارونات وأميرات. لابد

أن تتحدث مع صديقتها القديمة وتقص عليها ما يزعجها ويقلق حياتها. سمعت صوت حركة مقعد في القاعة أثار انتباهها بينما تسلل جسم شاب وسط الصفوف الخلفية من الحاضرين لاجتماع مجلس الإدارة العمومي. بدون نظارة كانت "فيونا" عاجزة عن الرؤية على هذه المسافة. فكرت ربما كان أحد الصحفيين قد حضر متاخرا.

عادة ما كان الصحفيون يأتون إليها عندما تنقصهم الأخبار لتدلهم عليها من بين صفوف الكتب التي تحفظها عن ظهر قلب.

ارتدت الشابة نظارتها الطبية مرة ثانية، نظرت إلى ملابسها المتواضعة وقالت: إن عليها أن ترتدي ملابس لائقة لمثل هذه الاجتماعات. كانت ترتدي جيبا متهالكة من الجينز حائلة اللون و"تي شيرت".

لا.. فعلا ليس بها أي شيء من تلك الكونتيسة التي تقمصت شخصيتها في عطلة نهاية الأسبوع ولكنها تحب البساطة وأن تكون على طبيعتها، ثم إن عطلة نهاية الأسبوع انتهت ومضت إلى حال سبيلها ومع ذلك كانت الشابة تجد صعوبة في نسيان الوجه المليح للأمير الساحر.

أطلقت زفرة أسف عندما فكرت أنها لن تراه مرة ثانية وحاولت التركيز على حديث "ليو" الخطابي الذي قال ينهي خطابه:

- وعلى هذا يا أصدقائي سنلتقي في الشهر القادم.

بدأت "فيونا" تجمع أوراقها ومذكراتها المبعثرة ثم هبطت من فوق المنصة لتعبر القاعة. كان "ليو" واقفا بالقرب من الباب وأشار إليها أن تقترب. كان بجواره يقف "البارون" في أبهى مظهره وأناقته.

صاحت دون أن تتمالك نفسها:

- أنت!

- أنا.

- هنا؟

- نعم.

- ولكن لماذا؟

ابتسم "فيك" فقال "ليو" مازحا وهو يضرب "فيك" على كتفه:

- نادرا ما أسمع حوارا واضحا كهذا!

تلعثمت "فيونا" وهي تخلع نظارتها الطبية:

- هل يمكن أن تشرح لي يا "ليو" ماذا يفعل هنا؟

- لقد دعوته.

سالته وهي عاجزة عن معرفة إن كانت تعيش حلما أم واقعا:

- بهذا أنت تعرف إذن "فيك"؟

كان "فيك" يفحص كل جزء من وجهها بإمعان؛ فهمت أنها كان لها تاثير سندريلا -بالتاكيد- وهي تخدم في المطبخ بينما "فيك" ازداد شبها بالبارون الحقيقي.

همس "فيك":

- إن "ليو" صديق حميم لعمي.

قالت دون تفكير:

- كان من الواجب أن أدرك ذلك.

- لقد قلت لك: إنني أريد أن أقابلك مرة ثانية، وكان من السهل علي أن أعثر عليك؛ فانت في شهرة تمثال الحرية في "نيويورك" ولم يكن من المجدي أن تهربي مني.

- لا.. أنا.

قال لها وهو يناولها وشاحها الأخضر الحريري:

- أنت لم تنسي فردة حذائك المصنوع من جلد السنجاب مثل "سندريلا" ولكنك نسيت هذا..

- لا. هذا الوشاح ملك الكونتيسة، وكما يمكنك أن ترى فإن الكونتيسة

ليست هنا..

بدا "فيك" مندهشا.. إنه هو أيضا لم يغمض له جفن طوال الليل وهو يحلم بجمال وفتنة الكونتيسة الحسناء، وها هو الآن مرة أخرى بجوارها. كان قد وجدها شبه باهتة عندما دخل قاعة الاجتماع وخلال ثانية واحدة أراد أن يرحل وهو يظن أنه خدع من شخصيتها ولكنه الآن عثر على فتنة "فيونا" المثيرة رغم النظارة الطبية التي تاكل كل وجهها تقريبا وملابسها التي توحي بالبساطة المحببة إليه.

قال "ليو ثورن" فجاة:

- أرجو المعذرة؛ لأنني يجب أن أترككما فامامي الكثير لافعله.

قالت الشابة بصوت متلعثم:

- انتظر يا "ليو".. أليس "فيك" هنا لمقابلتك؟

- نعم يا عزيزتي.. لقد توفر لنا الوقت للنقاش قبل عقد الاجتماع يا "فيونا".

- هل هذا صحيح؟

- لقد وعدت "فيك" أن تقومي بجولة معه ليرى الدار.

- ولكن يا "ليو"..

- كنت أود أن أقوم بذلك بنفسي لولا أنك موهوبة اكثر مني في ذلك.

اختفى "ليو" بعد هذه الكلمات.. سالها "فيك":

- هل هذا يزعجك؟

- أوه..

- على أية حال لسنا غريبين عن بعضنا بعضا.

- بل العكس صحيح. فإن عطلة نهاية الأسبوع لم تكن سوى تمثيلية. فانا مختلفة عن الكونتيسة.

- نعم أعرف ذلك. أنت "فيونا إليزابث ماري فينيجان".

ردت عليه بنظرة باردة كالثلج:

www.rewity.com

– وماذا يهم الاسم؟ أنا لست الكونتيسة.

أجابها "ڤيك" وهو يمسك بذراعها ويسحبها للخارج:

– ولكن ليس هذا على الإطلاق! أنت كونتيستي في الجينز وحذاء كرة السلة. وهذا أكثر طرافة.

ردت عليه بحدة وهي ترتدي نظارتها الطبية:

– هذا طريف ولكنه ليس أنيقا ولا مغريا.. أنا...

فكرت في نفسها: "كم هو مليح وجذاب". قال وهو يلعب في إهمال بخصلة من شعرها الطويل:

– أنت أمينة مكتبة. أنا لم يسبق لي أن قابلت أمينة مكتبة.. أقصد وجها لوجه.

– لنكن جادين يا سيد "هارينجتون". ماذا تفعل هنا؟

اقترب "ڤيك" من سيارة سباق "بورش" وفتح بابها وهو يشير إليها أن تجلس على المقعد.

انزلقت "فيونا" إلى داخل السيارة الفاخرة دون أن تحتج.

قال وهو يجلس خلف عجلة القيادة:

– لقد أتيت لأقابلك.

حاولت "فيونا" أن تحتفظ بجديتها.. أتى لرؤيتها ومقابلتها؟ إنه مجنون! وكان "ڤيك هارينجتون الثالث" ليس أمامه في الحياة ما يفعله أفضل من أن يتعلق بأمينة مكتبة صغيرة.

استدارت نحوه وهي تضحك:

– "ڤيك"...

سألها وقد بدا عليه الأسف وفي نفس الوقت يدير محرك السيارة:

– هل الأمر غريب لهذه الدرجة؟

– اعذرني يا "ڤيك". كل ما هناك أنني دهشت جدا: أنا لم أتوقع أن أراك أبدا.

– وهل أحسست بالخيبة؟

قالت وهي تهز رأسها نفيا:

– بالتأكيد لا..

أشارت إلى مجموعة المنازل الصغيرة التي سيزورانها. أجاب عليها وهو يضع يده على ذراعها:

– حسنا.. على أية حال لقد كنت سأتي.

ظلت "فيونا" تشير له إلى الطريق وهي تأمل ألا يلحظ اضطرابها.

– إن الجمعية توجد في شارع "جاكسون" على رأس التل.

– أعرف ذلك وقد أتيت إليها عدة مرات عندما كنت طفلا، وأعرف أن آل "ثورن" يعيشون بالقرب من هنا، وأتذكر تماما احتفالا ضخما للكريسماس أقاموه هناك.

همهمت في رقة:

– وأنا كذلك أتذكره. لقد حاول كل صبية الحي أن يتسلقوا السياج ليروا وصول الجميع في السيارات الليموزين الفاخرة. أمسك بي أحد الحراس وظننت أنني سأموت من الخوف.

– أتصور ذلك! هكذا أنت تربيت وكبرت في الجوار؟

هزت رأسها علامة الإيجاب:

– نعم.. لقد ولدت وتربيت على التل.

تاملت المنازل فوق التل فترة: كانت صغيرة وبيضاء ومصفوفة خطا واحدا أمام عينيها. إنه عالمها هي، والذي يبعد مسافة سنوات ضوئية عن "ڤيك" وعالمه. قال وهو يبطئ من سرعة السيارة:

– أظن أننا وصلنا.

دخل في ممر ملتو حتى الدار المهيبة. مر أمام كوخ البستاني والإسطبلات القديمة وقال:

– الآن أتذكر كل شيء.

كانت ذكرياته تندفع في رأسه. كان كل علية القوم قد حضروا إلى هذا الحفل.. حفل الكريسماس الشهير: أزواج وزوجات وأبناء. وكان عليهم أن يخترقوا الحي الفقير في المدينة حتى يصلوا إلى ديار "ثورن" الذين لم يرغبوا أبدا في الانفصال عن منزل العائلة، وكان "ڤيك" يتذكر تماما أوجه الأطفال الذين كانوا يلعبون في مرح بكرات الثلج.

شرحت "فيونا" عندما خرجا من السيارة الـ"بورش":

- إن المكتبة توجد في الدور الأرضي.

- كل شيء يبدو سليما لم تمسه عوامل الزمن.

- في الحقيقة كل شيء يتم تطوعا. عندما مات والد "ليو" لم يجرؤ أي من أبنائه على بيع هذا البيت وملحقاته؛ ولهذا اقترحنا أن نحوله إلى مكتبة عامة.. تعال لأريك..

أمسكت بذراعه وصحبته حتى بضع درجات من الرخام الأبيض تفصل الممر عن مدخل الدار. كانت الأبواب مفتوحة على مصاريعها ودخلا بخطوات مرحة إلى البهو المكسوة أرضيته بخشب أسود، وخلف مكتب الاستقبال الصغير يمكن رؤية باب مكتب "فيونا"، وعن اليمين وعن اليسار كانت صالونات قراءة عديدة مفتوحة للجمهور. بدأت "فيونا" الزيارة وهي تشرح عملها نقطة نقطة بفخر لم تفلح في إخفائه.

صعدا بعد ذلك إلى الدور المخصص للأجنحة القديمة والتي تحولت إلى قاعات اجتماع.

سألته:

- هل تعرفت إذن على المنزل؟

كانا قد عادا إلى بهو الاستقبال.

رد عليها وهو يلقي نظرة على النجفة الكريستال الضخمة وهي الأثر الأخير على عظمة الماضي:

- نعم بما يكفي. لقد فعلت عملا ممتازا يا "فيونا".

عندما استدار وجد الشابة تقرأ بعض المذكرات.

- يبدو عليك أنك تعملين كثيرا يا سيدة المكتبة.

ردت عليه ضاحكة:

- هذا بالضبط النموذج "فينيجان".. إننا دائما في حاجة إلى الانشغال بكل كياننا عند تحقيق أي مشروع.

- وهذا هو إذن هدفك..

حاولت "فيونا" أن تتظاهر بتجاهل مرارتها. فجأة دخل القاعة صبي صغير له وجه مغطى بالنمش وصاح في الحال:

- يا عمتي "فيونا"؟

- نعم يا "توني".

- إنه "آرشي"..

زفرت الشابة:

- أوه.. لا!

- بل نعم.

- أين هو؟

- في المقابر.

- اسمع يا "توني": اذهب واطلب من "كيت" القهوة وأحضرها هناك.. سنكون هناك.

خرجت بخطوات سريعة من البيت يتبعها "ڤيك" الذي بدا أنه لا يفهم شيئا من الأمر. سألها وهو يجري وراءها نحو ما يشبه الأكمة الصغيرة:

- ما هي هذه المقابر؟

- سترى.

في الحال استطاع "ڤيك" أن يرى بوابة حديدية صغيرة تخفي الصلبان الموضوعة أمام الصفوف الأولى من المقابر في مساحة

فسيحة.

شرحت "فيونا":

- إن القبور قديمة جدا وقد دفن فيها أسلاف "ثورن". لقد قضيت فيها أنا نفسي جزءا من طفولتي في اللعب: لعبة القط والفار و"الاستغماية" بين القبور وفي النداء على الأشباح. ها هو ذا!

أشارت باصبعها إلى ضريح صغير.

استقبلتهما زمجرة جعلت فرائص "ڤيك" ترتجف. تقدمت "فيونا" نحو الضريح في خطوات ثابتة ودارت حول شجرة تفاح معمرة مئوية العمر قبل أن تقف أمام القبر الذي اختاره "آرشي" لينام فوقه.

همست بلهجة قاسية:

- "آرشي"!

فتح ذلك الـ"آرشي" إحدى عينيه وقال لـ"ڤيك":

- لقد سبق أن تعارفنا يا سيدي.

أجاب "ڤيك" في مرح:

- لا أعتقد ذلك.

صححت "فيونا" لـ"آرشي" معلوماته:

- نحن الآن في الصباح يا "آرشي".. وهذا هو السيد "ڤيك هارينجتون"، وأنت نائم على قبر وستصاب بالبرد. الحقيقة لست أعرف ماذا يمكنني أن أفعل بك؟

همهم "آرشي" وهو يغمض عينيه:

- دعيني أنام.

تقدم "توني" ومعه قدح من القهوة التي تغلي وقدمها إلى الرجل العجوز النائم على القبر المدعو "آرشي"، والذي كان ثملا لدرجة أنه لم يستطع أن يمسك بقدح القهوة بمفرده.

تلعثم "آرشي" العجوز وهو يقول بين جرعتين:

- أنا آسف يا "فينيجان".

أجابته بلهجة رقيقة:

- لا بأس. اذهب يا "توني" واحضر له طبقا من الحساء من عند "كيت". إن "ڤيك" سيساعدني على إعادته إلى حجرته.

رد الصبي قبل أن ينطلق وسط ممرات المقابر المعتمة كالسهم:

- حسنا.. إلى اللقاء قريبا يا "آرشي"..!

قالت "فيونا" موجهة الحديث لـ"ڤيك":

- إن "آرشي" لديه حجرة في الإسطبلات القديمة، هل يزعجك أن تصحبه معي إليها؟

- بالتأكيد لن يزعجني ذلك.

بعد قليل سند كل منهما العجوز من ذراعه وتقدما معه ببطء نحو الإسطبلات. قال "ڤيك" ضاحكا:

- لم يسبق لي أن قضيت صباح اثنين بمثل هذه الإثارة.

أضافت الشابة وهي ضاحكة:

- إنها طريقة فريدة بالنسبة لبارون أن يبدأ بها أسبوع أعماله. في الحقيقة أخشى أن تكون واحدا من مفتشي المكتبات يحاول يائسا أن يفقدنا مكانتنا.

أجابها وقد لمع وميض المكر في عينيه:

- ليس هذا بالضبط ما جئت لأفتش عليه!

صاح "آرشي" فجأة بعد أن أفاق للحظات:

- إن "فينيجان" ملكة الجمال... وهي..

قالت الشابة:

- "آرشي"! أنت ثمل تماما!

قال "ڤيك" وهو يفتح باب الإسطبل بركلة من قدمه:

- إنني أعتبره صادقا!

www.kerwity.com

قالت "فيونا":

- هذه هي الحجرة في نهاية الإسطبلات. إن لديه سريرا وسنمدده عليه.

همهم "آرشي" وهو يدعهما يحملانه إلى السرير:

- البيت.. البيت ما أحلى الرجوع إليه!

استغرق في النوم حالا. سحبت "فيونا" "ڤيك" إلى الخارج وقالت ببساطة:

- شكرا!

- العفو. لقد سعدت بذلك.

أخذ يتأمل الشابة بإمعان.. إنها سعادته الوحيدة، وأحس بعاطفة شديدة مفاجئة نحوها.

- من هو "آرشي"؟

أجابته وهي تبتسم:

- إنه صديق.. وهو مدرس للأطفال لا أكثر ولا أقل، وهو يحب هذا المكان وقد تعلقنا به؛ ولذلك بقي في المكان.

- فهمت.. وماذا عن الصبي الصغير؟

- إنه ابن أختي "بريجيت" وصديق لـ"آرشي".

كان وجهها الجميل مغطى بالشمس وعيناها الكبيرتان تشعان حيوية وبهجة مثل حجرين نادرين من الزمرد. لم يستطع "ڤيك" أن يمنع نفسه من أن يربت على شعرها الطويل الذي تطاير مع النسيم الخفيف.

همس في انفعال:

- يا كونتيسة...

- أنت مخطئ يا "ڤيك".. أنا "فيونا".

ومع ذلك عندما اخترقت عيناه أعماق عينيها انتابتها رجفة شديدة لا علاقة لها بالجو.. أيا كان ما تقوله فهي كونتيسة نجحت "فيونا" فجاة

في أن تنتزع عينيها من عينيه. وقالت:

- أرى أنك تجد صعوبة في أن تخرج من دورك كشخصية "فيكتور الثالث".

- وأنا أجد أنك من السهل أن تتقمصي دورك.

أجابته وهي تضحك:

- ربما. فإن أمينات المكتبات الأيرلنديات الأصل يمكن أن يصبحن كونتيسات خطرات يُخشى بأسهن في الواقع!

- لا يهمني الكونتيسات فإنه من السهل العثور على العشرات منهن.. أسهل من أمينات المكتبات.

- ولكن من أنت إذن؟

قال لها وهو يمسك بذراعها ليخطوا خطوات قليلة في الحديقة:

- أنا "فيكتور هارينجتون" من "فيلاد لفيا".

- ولكن ماذا بعد ذلك؟

- أنا أملك عددا من البنوك وأعشق الرحلات ولكني أكره الطهي، ولي عادة سيئة أن أقود سيارتي بسرعة رهيبة، وعدا ذلك فإن لي مزاجا متقلبا جدا ولكن في الأساس أنا رجل طيب فعلا.

ضحكت "فيونا" وهي تبتعد عنه وقالت:

- أعتقد أن الزيارة انتهت.. لقد رأيت كل شيء.

- هل أنت مرتبطة بمواعيد الليلة؟ أرجو أن تتناولي العشاء معي؟

- أنا آسفة يا "ڤيك" فقد شغلت أمسيتي.

سألها وهو يتحرق للإجابة:

- هل هناك رجل آخر؟

قالت له وهي تصعد أول درجة إلى العتبة المؤدية إلى مكتبها:

- لا.. لا.. إنها مجرد صديقة.

لم يستطع "ڤيك" أن يرفع عينيه عن جسدها الخلاب الذي سبب له

اضطرابا شديدا. فجأة وقفت "فيونا" وارتدت نظارتها الطبية ثم التفتت نحوه. وقالت وهي تبتسم:

- هنا أستطيع أن أراك أفضل.. لقد كان رائعا أن قابلتك مرة ثانية.. إلى اللقاء وشكرا.

أجاب وهو يهز رأسه:

- لا يا كونتيسة "فينيجان".. لا.. إلى اللقاء. طبعا.. لا يمكن...

ابتسمت له قبل أن تصعد بقية الدرجات إلى المدخل. أخذت كلمات "ڤيك" ترن في رأسها وتخترق أعمق أعماقها. لقد كانت سعيدة؛ لأنها رأت البارون ثانية وهذا أمر لا يمكن لها إنكاره ولكنها كانت متأكدة أنه لن يستطيع أن يقضي المزيد من الوقت في عالمها المليء بغبار الكتب مثلها وهو من علية القوم من "فيلاد لفيا".

قالت لها مساعدتها "كيت ويللوز" وهي مبهوتة من الابتسامة الحالمة التي أضاءت وجه الشابة:

- آه لو استطعت أن أقرأ أفكارك يا "فيونا"!

- إنني.. إنني أفكر في إجازاتي القادمة.

قالت "كيت" مازحة:

- هل أنت واثقة من ذلك؟

كان رد "فيونا" هو مجرد زفرة حالمة ودخلت مكتبها.

سار "ڤيك" خارج المكتب ببطء إلى سيارته. تساءل: "أمينة مكتبة! إن المرء يرى العجب العجاب في هذه الدنيا".

ثم وقف الشاب فجأة وهو مذهول: المقبرة! لقد دخل المقبرة دون أن يصيبه الخوف أو الرجفة. كان وجهه شبه مضاء من أشعة الشمس التي تسللت من بين أغصان أشجار أبو فروة. وخطرت عليه فكرة مثيرة حول قبر آخر بعيد جدا عن هذا المكان حيث ترقد تحته "آن ميلروز" التي

تركته من أربع سنوات وانتقلت إلى عالم الخلود.

ومن وقتها لم يستطع أن يقترب أبدا من مقبرة إلا وتجتاحه الانفعالات الرهيبة التي تبعث موت "آن".. وها هو -لأول مرة- يتغلب على آلامه ومخاوفه وهو إحساس رائع بالنسبة له.

angelo8 www.rewity.com

الفصل الخامس

عبرت "فيونا" صالونها في بطء وهي سعيدة؛ لأن عشها مغمور باشعة الشمس الحانية، وحتى ذرات الغبار المتطايرة التي تلمع في الهواء الصباحي كان لها سحر لا يقاوم لدرجة أن الشابة قررت أن تدع ذلك الغبار لمدة ساعات في راحة.

صاحت "روزماري" عبر باب الشقة:

- هل أنت موجودة يا "فيونا"؟

- دقيقة واحدة.. دقيقة واحدة.

بعد فترة قليلة دخلت "روزماري" في الحجرة كقذيفة مدفع وسالت صديقتها فور دخولها وهي منفعلة:

- لقد استغرقت ساعة حتى تفتحي الباب يا "فينيجان". هل قاطعت شيئا ما؟

انفجرت "فيونا" في الضحك أمام منظر "روزماري" المبهوت.

- أسفة لأنني خيبت ظنك يا "روزماري". لقد كنت مشغولة فقط في تسوية سريري وليس في إخفاء رجل في دولاب ملابسي.

قالت "روزماري" في لهجة خبيثة وقد بدت عليها الخيبة:

- يستطيع المرء دائما أن يحلم.

- خبريني إذن لماذا أنت نشيطة في الصباح على غير العادة خاصة صباح السبت. اجلسي.

استرخت "روزماري" في راحة على الأريكة قبل أن تفتح جريدة الصباح بطريقة غامضة وقالت:

- لابد أن أصارحك بشيء يا "فيونا". حتى هذا الصباح لم أكن أصدق وجود البارون المزعوم.

- إذا كان هناك شيء أنا متأكدة منه تمام التأكد فهو أنه موجود.

أجابتها "روزماري":

- نعم ولكنه لم يظهر مرة ثانية منذ آخر مرة ومع ذلك أعرف السبب.

لم تكن "روزماري" مخطئة في كلامها. لم يظهر لـ"ڤيك" أي أثر منذ أسبوع، وكانت "فيونا" قد تأثرت بهذا المسلك أيما تأثر ولكنها قررت بثقتها المعتادة أن الأمر أفضل هكذا بعدم ظهوره.

سالتها "روزماري" فجاة:

- هل اسم البارون هو "فيكتور هارينجتون"؟

- نعم.

قالت الصديقة:

- إذن هو الموجود في الصفحة الثالثة من الجريدة.

أخذت تتعمد تصفح الجريدة في مكر ولكن "فيونا" انتزعتها منها في الحال. نعم لقد كانت صورته -بعينيه الداكنتين ووجهه المليح- تتصدر مقالا لم تقرأ الشابة محتوياته؛ لانشغالها بتأمل الصورة. إنه أجمل رجل طاردت صورته خيالها ليالي وراء ليال، ولكن بدت نظرته شاردة

angelo8 www.liilas.com

بشكل غريب.

قالت "روزماري" بلهجة متفاخرة:

- لقد قام بالتفاوض حول اتفاق مهم مع بنك "شيكاغو".. ولكن لماذا احمر وجهك؟

همهمت الشابة وهي تسرع بخطوات واسعة نحو النافذة:

- إن الجو هنا -حقا- حار للغاية. والآن يا "روزماري" تعرفين أنه موجود على ظهر الأرض وليس من وحي الخيال، وأيضا تعرفين أنه لن يعود ثانية...

قاطعها صوت رنين جرس باب المدخل وكان هذا أمرا غير مألوف؛ إذ عادة لا يطرق الناس على بابها.

سألتها "روزماري" في اهتمام:

- هل كنت تنتظرين أحدا؟

- لا.

جرس آخر أشد جعلها تقرر أن تنهض من فوق أريكتها المريحة لتذهب حتى الباب.

كان "فيك" خارج الباب ينتظر -نافد الصبر- أن يرى المرأة التي طاردته صورتها منذ أسبوع. كان في حاجة لأن يفهم لماذا لها كل هذا التأثير عليه لدرجة الافتتان. همّ أن يضغط زر الجرس للمرة الثالثة عندما ظهرت "فيونا" في فتحة الباب.

همست في رقة:

- ادخل.

ظلت "روزماري" جالسة في مكانها وإن كان على وجهها فضول ظاهر. قال "فيك" عندما دخل الصالون:

- صباح الخير.. أنا "فيك هارينجتون".

ردت "روزماري" عليه واحدة بواحدة:

- وأنا ملكة انجلترا.

نظر "فيك" نظرة مذهولة إلى "فيونا" التي قالت:

- اطمئن يا "فيك".. لقد ساورتها الشكوك في وجودك.

قال وهو ينفجر ضاحكا:

- لقد فهمت.. هل يجب أن أخرج بطاقة هويتي؟

أضافت الشابة وهي تبتسم ابتسامة ماكرة:

- لا بأس.. أعتقد أنها تصدقك الآن.

قالت "روزماري" بسرعة:

- إنها على حق.. لقد كنت أتحرق شوقا لأن أعرف المزيد عن ذلك البارون من ألف ليلة وليلة. ولكن ما الذي أتى بك إلى هنا؟

- ببساطة كنت مارا على الحي..

ردت "روزماري" عليه في الحال:

- بصراحة يا بارون أنت تخدعني. لقد كنت أظن أن رجلا غريبا مثلك لابد أنه يتمتع بالخيال الخصب. تعال اجلس بجواري وقص علي كل شيء عن حياتك منذ أن ظهرت لك أول سن دون أن تحذف أي جزئية.

قالت "فيونا" بسرعة تقاطعها وهي تضحك:

- كما تلاحظ يا "فيك" فإن "روزماري" خجول جدا. من فضلك اجلس.

خطا "فيك" فوق الجريدة الملقاة على الأرض ونفذ كلامها وجلس، وما إن جلس بين المرأتين فوق الأريكة حتى تعرف في الحال على صورته تتصدر المقال الذي يخصه. ثم قال في مكر:

- أرى أنكما تركتماني واقعا فوق الأرض.

صاحت "روزماري":

- حسنا! إنه يتمتع بروح الفكاهة وهذا أمر طيب.

سألها "فيك" في الحال:

- لماذا؟

- من أجل مغازلة عزيزتي "فيونا".

صاحت "فيونا" في استنكار:

- "روز ماري أجنس ويلسون"! اخرسي!

كان "ڤيك" مسرورا جدا من مرح المراتين. إن كل شيء في هذا المكان يعجبه.

قال:

- أتعرفين يا "فيونا".. إنني أنا و"روز ماري أجنس" متفاهمان تماما.

أجابته "روزماري":

- شكرا لهذا التحديد يا بارون. إنني أتألم لأنني سأقطع هذا الحديث المتبادل حتى أسارع بفتح حانوتي. ولكني أعتمد عليك يا "فيونا" أن أكون أول من تعرف قصة حياتك.

نهضت "فيونا" لتصحبها تاركة "ڤيك" مع أفكاره. فكرت الشابة أنه من الواضح أنه لم يتعود على أشخاص يتحدثون على سجيتهم مثلهما. لا يهم ذلك: لأن الناس الذين يستسيغون صديقتها هم قليلون.

قالت له:

- إن "روزماري" تدير حانوتا للملابس الرخيصة.

قالت "روزماري" وهي على العتبة:

- وهكذا استطاعت كونتيستك أن ترتدي ملابسها.

- لقد أديت عملا رائعا يا "روزماري"؛ لأن كونتيستي كانت أجمل امرأة في السهرة.

زفرت "روزماري" وهي تلقي نظرة امتعاض على ملابس "فيونا":

- للأسف. إنني لا أستطيع أن أفعل ذلك كل يوم.

أدرك "ڤيك" أنه لم يعر أي انتباه لملابس الشابة وهذه علامة طيبة؛ لأنها سواء كانت مرتدية ملابس فاخرة أم رخيصة فهي فاتنة.

قالت "فيونا" وهي توشك أن تدفعها من فوق السلم:

- اذهبي يا "روزماري".

قالت "روزماري" قبل أن تختفي:

- خلف هذا المظهر القاسي تتوارى امرأة طيبة.

عادت "فيونا" إلى الصالون دون أن تعلق بكلمة وشرعت في ترتيب الأقداح والجرائد المبعثرة على الأرض. وقالت:

- لطيف منك أن تمر عليّ يا "ڤيك".

- لقد فكرت أننا نستطيع أن نقضي النهار معا؛ لاستعادة ذكرى الأيام الخوالي الحلوة.

- هذا لطيف منك.. ولكني مشغولة جدا اليوم.

- سأساعدك ولن أكون إلا كظلك.

ضحكت "فيونا" وقالت:

- ليس هذا ما أعنيه. كل ما هناك أنني أخشى أن أسبب الملل لك.. أنت الجاني على نفسك فقد حذرتك.

كان من عادتها أن تبدأ يوم السبت من كل أسبوع بإفطار شهي دسم تعده لها أختها "بريجيت"، وكان البيت مملوءا بالأطفال الذين أخذوا يجرون حول "ڤيك" و"فيونا" يضحكون ويلعبون.

وبعد بضع دقائق وجدوا أنفسهم جميعا جالسين حول المائدة المحملة بالجاتوه والفطائر، ورغم الجو الودي المرحب بدا "ڤيك" كأنه ليس على ارتياحه قليلا، ولحظة الرحيل ودع مضيفته في أدب. ردت عليه "بريجيت":

- هل تعلم يا "ڤيك".. لقد كنا في منتهى السعادة باستقبالك. إننا نرحب دائما هنا بأصدقاء "فيونا".

تأثر "ڤيك" بهذه البساطة وبدأ يتجه نحو سيارة "فيونا" التي قبلت أبناء أختها لآخر مرة، ثم كان عليهما أن يتوقفا بعد ذلك عند ميكانيكي السيارات "جو".

سألها "ڤيك":

- هل سيارتك لا تسير بطريقة جيدة؟

- ليس بالضبط. ولكن "جو" يصر على فحصها كل أسبوع، وهي وسيلة جيدة ليراني كل عطلة.

- "جو"؟

- "جوزيف كونور فينيجان" أبي.

أشارت إلى لافتة كبيرة من الخشب فوق الورشة. دخلت الورشة بالسيارة. كان "جو فينيجان" ايرلنديا قحا حيث تقول نظراته الكثير دون كلام وتكشف الكثير عن طباعه. أخذ الرجل يتأمل "ڤيك" طويلا وهو يناقش ابنته في أمور أخرى.

قالت "فيونا" في فخر وقد وضعت ذراعها على كتف والدها:

- والدي أحسن ميكانيكي سيارات في البلاد.

قال الرجل بصوت ممطوط:

- كانت "فيونا" تعرف كيف تغير واقيات الارتجاج لسيارتها قبل أن تحصل على شهادتها.

قال "ڤيك" وهو يحاول الابتسام:

- سأحاول أن أتذكر ذلك.

فكر في أصدقائه الذين هجرهم في هذا اليوم. لابد أنهم يحتسون المشروبات المنعشة الفاخرة فوق شاطئ الأحلام... ولاشك أنهم لا يفكرون أبدا في واقيات الارتداد لسياراتهم.

- اذهب لتشاهد ورشة الإصلاح بينما أقوم بفحص واقيات ارتداد سيارتها... وهناك قهوة على مكتبي.

ابتعد الرجل مع ابنته تاركا "ڤيك" مع أفكاره. أخذ "ڤيك" يتجول في الورشة وانتهى به المطاف إلى مكتب مربع قذر لابد انه لم يتعرض للتنظيف منذ سنوات، وفوق الجدار علق بروواز به شهادة قرأ عليها:

"هيلي إليزابث ماري فينيجان" حصلت على ليسانس الآداب من جامعة "بنسلفانيا". وكان من الواضح أن هذه الشهادة هي أكبر رضاء وفخر لوالد "فيونا".

قالت الشابة بمرح وهي تدخل المكتب الصغير:

- لقد انتهينا.. وآسفة لأننا تركناك بمفردك.

- لم أشعر بالملل يا أستاذة الأدب.

أجابته وقد احمر وجهها:

- أوه.. أنا آسفة.. لقد فهمت. اعلم أنني أول فرد من عائلة "فينيجان" تحصل على شهادة جامعية وهذا مبعث فخر أبي. على أية حال أنا مدينة بهذه الشهادة إلى كرم "ليو ثورن" الذي دفعني لإتمام دراستي؛ ولهذا السبب ذهبت لأعمل في مكتبته.

بدأ "ڤيك" يدرك مدى أهمية تلك الورقة ذات الإطار الفاخر والتي وضعت وسط كل تلك الفوضى. استانفت الشابة حديثها:

- وقد كانت حياتي سعيدة وعادية إلى اليوم الذي التقيت فيه بـ"بارون" في عالم يصلح للروايات البوليسية.

- وهذا البارون فتح لك أبواب عالم مجهول من السعادة والبهجة والإثارة..

قطبت "فيونا" حاجبيها. فقال يصحح كلامه:

- حسنا.. كان يحب أن يفتح لك تلك الأبواب.

قطع ضحكاتهما جو الحجرة الخانق، ووصل "جو فينيجان" في الوقت المناسب ليمنعهما من مواصلة حديث محرج وقال:

- إذا واجهت أقل مشكلة في سيارتك يا "ڤيك" فلا تتردد في الحضور إلي لأفحصها.

- شكرا يا سيد "فينيجان".

- "جو".. كل الناس ينادوني "جو".

قال له "ڤيك" وهو يصافحه بأدب:

- حسنا.. يا "جو" وشكرا.

كان من الواضح أن "ڤيك" بدأ يتضايق بعض الشيء من عائلة "فيونا"؛ لقد كان عالمهم يختلف تماما عن عالمه. تساءلت الشابة عما إذا كانت تقطيبة وجهه هي علامة التعب والملل. ولكنها كانت واثقة من أمر واحد: وهو أن "ڤيك هارينجتون" ليس شخصا متحذلقا ومتعاليا.

قال لها وهو يصعد السيارة:

- إن والدك لطيف جدا.

- نعم.. جدا.

بدأ "ڤيك" يشعر بالهدوء التام بجوار السيدة التي تقود سيارتها. لقد جعله الحب والرقة وكل تلك العواطف التي غمرته خلال مقابلاته للعائلة يشعر بالحيرة. لم يحدث له أبدا أن تعامل مع مثل هذه البساطة.

طارت الساعات التالية في دوامة من المشاوير والمقابلات التي قامت بها الشابة وتجنبها "ڤيك" بالبقاء في انتظارها بالسيارة في كل مرة، وكان من الواضح أنها تعرف الجميع في الحي. كان كل هذا سريع الإيقاع بالنسبة له، وأخيرا وضعت الشابة نهاية لسباقها المجنون المتواصل وأخذت راحتها في تأمل الشمس الغاربة التي تغمر الحديقة بأشعتها الذهبية.

كانت "فيونا" تبتسم كالطفل، وكان إعجابها وانبهارها شديدا حتى إن "ڤيك" اضطر لأن يذكرها أنها تقود سيارة وأن من وراءها يشعرون بنفاد صبرهم. انطلقت بالسيارة وهي تضحك فقال لها "ڤيك" فجأة:

- قفي هنا يا "فيونا"!

سألته في قلق وهي تقف إلى جانب الطريق:

- ماذا هناك؟

لم يرد عليها وإنما خلع نظارتها ودون مقدمات قبلها بعنف. لم تفق من دهشتها إلا عندما أحست بأن السيارة تتحرك مع منحدر الطريق.

فتحت عينيها وصاحت:

- إن السيارة تتحرك يا "ڤيك".

angelo8 www.rewity.com

الفصل السادس

سأل صوت مفزوع:

- هل هناك سوء يا آنسة؟

رفعت "فيونا" عينيها نحو وجه "آرشي" القلق الذي انحنى نحو زجاج السيارة. كانت السيارة قد اندفعت حتى حائط الأشجار العالية البرية التي تحيط بالبيت. هزت الشابة رأسها برقة وهي تتأكد من أن مظهرها محتشم.. ولكن ما الذي جرى لها؟ قال "ڤيك" بدوره:

- كل شيء على ما يرام يا "آرشي".

قال الرجل العجوز وهو يفتح الباب لـ"فيونا":

- ولكن ماذا حدث؟ لقد كنت أتناول عشائي عندما سمعت صوت ضجة عالية حتى ظننت أن سكان المقابر قد استيقظوا.

أجابته "فيونا" ضاحكة:

- ليس هناك سواي أنا و"ڤيك".

- هل أنت واثقة من أن كل شيء بخير؟ إن شعرك يبدو وكأنك خرجت من معركة ويبدو عليك الانزعاج.. ألا توجد جروح؟

قال "ڤيك" وهو يخرج أيضا من السيارة:

- نعم.. لا شيء على الإطلاق.

أمسك "ڤيك" برقبة الشابة وأخذ يدلكها ثم علق ساخرا:

- ولا يمكن أن نقول ذلك عما أصاب الأشجار.

ظل "آرشي" يردد:

- حقيقة لا أستطيع أن أفهم ماذا جرى.

وجدت "فيونا" أن من الصعب عليها أن تظل جادة مع "ڤيك" ونظر إليها نظرة متآمرة. وقال:

- من الأفضل أن نبقى إلى صباح الغد لنخرج السيارة من وسط الشجيرات. أتظن أن "فيونا" في حاجة إلى دروس في القيادة يا "آرشي"؟

نظرت إليه "فيونا" نظرة يتطاير منها الشرر بينما أخذ الرجل العجوز يتلعثم قائلا:

- لست أدري.. لست أدري.. لم يسبق لي أن رأيت مشهدا مثل هذا من قبل.

في نفس واحد انطلق "ڤيك" و"فيونا" في الضحك.

###

نامت الشابة نوما عميقا كله أحلام مع "ڤيك" واستيقظت ولديها شعور بأن البارون القوي المليح قريب منها، وعندما جاء البارون بعد الظهر لزيارتها سادها شعور بأنه لم يتركها أصلا. لقد اختلط الحلم عندها بالواقع.

قال شارحا:

- لقد أتيت لأساعدك في إخراج سيارتك.

عندما يكونان بمفردهما يمتلئ الجو بشحنة كهربائية وتنبعث الحمى من داخلهما. بعد أن اهتم "ڤيك" بالسيارة ودعها وداعا حارا قبل أن يغادرها مما أيقظ بداخلها كل المشاعر السعيدة التي كانت قد تجاهلتها. لم يكن بينهما أي وعود ولا ثقة في الغد السعيد ولكن في كل

يوم فإن قلب "فيونا" يزداد اضطرابا وتسرع ضرباته مع زيادة ثقتها في ظهور "ڤيك" في حياتها.

كان حضوره يغرق الشابة في حالة من الهدوء السعيد وأحيانا كان يختفي أو يتجنب -ببساطة- الدخول في وسط "فيونا". فهمت أن ثمة مشاعر معينة يمكنها أن تشعره بعدم الارتياح ولكنها لم تحاول أن تعرف عنها المزيد. ولكنها كانت واثقة أن "هارينجتون" المليح هو في الحقيقة رجل غامض جدا.

ظهر الرجل صباح الخميس في فتحة باب المكتبة وعلى وجهه ابتسامة عريضة. وأعلن في مرح :

- اليوم هو يوم سعدي!

كان ظهوره دائما يثير بداخلها انفعالا معينا يجعل الشابة لا تستطيع مقاومة الابتسام له. إنه يعرف جيدا كيف يبدو في أحسن صورة ويظهر مدى قيمته، وكان البلوفر من صوف الكشمير الفاخر بلون أحمر أبرز جمال شعره الفاحم.

سالته:

- ماذا تريد أن تقول يا "ڤيك"؟

- اليوم أنت لي. لقد مرت أيام وأنا أحوم حول المكتبة حتى أصبت بالجنون.

- وماذا عن عملي؟

- اطمئني فقد رتبت كل شيء. ببساطة عندك اجتماع بعد الظهر وأنت حرة حتى ذلك الوقت.

- هل أنت..

- لقد رتبت كل شيء بالضبط. لقد فاض بي الكيل من رؤية "فيونا قينيجان" ويشاركني فيها عمة أو أخت أو أب أو حتى ذلك الـ"أرشي". اليوم هدنة من المناقشات.. إننا نضيع الوقت.

كانت "فيونا" عاجزة عن التصرف أو حتى أن يكون لها رد فعل فدعته يسحبها إلى السيارة.

سالته:

- أين سنذهب؟

فتح باب السيارة ثم جلس خلف عجلة القيادة لسيارته الـ"بورش" الفاخرة. تركته "فيونا" يقود السيارة عبر شوارع المدينة ثم في الريف المحيط بالمدينة -وهي تستنشق في سرور هواء الصباح المنعش- قال "ڤيك" فجاة وهو يدخل في طريق صغير محاط بالخضرة على امتداد البصر:

- لقد وصلنا.. هل سبق لك أن حضرت إلى هنا؟

صاحت في حماس شديد للمنظر الرائع الممتد أمامها:

- إطلاقا يا "ڤيك".. إنه مكان رائع!

أمام الواجهة من الأشجار العملاقة التي غطتها بالفعل ألوان الخريف كانت هناك انعكاسات الشمس على صفحة البحيرة الفضية.

قال "ڤيك" شارحا وهو يخرج من السيارة ليفتح الحقيبة الخلفية لها ويخرج منها سلة:

- لقد حضرت كثيرا هنا للتريض على صهوة الجواد، واليوم فإن البحيرة محجوزة لنا.

ردت عليه "فيونا" بابتسامة. تصورت المراهق الذي كان -وهو نحيف وفخور بنفسه- وقد امتطى صهوة الجواد وأخذ يعبر التلال عدوا. أمسك "ڤيك" السلة بيد وأمسك بالأخرى غطاء طريا ثم قاد الشابة حتى مكان متسع.

قالت:

- لقد رتبت كل شيء بطريقة ممتازة يا "ڤيك" ولكن ماذا ستفعل لو أمطرت؟

- من الآن حتى اثنتي عشرة ساعة من المحتمل جدا أن تكوني مخطئة في ظنك.

- فهمت. وماذا سيحدث عندما يحدث لك ما يحدث دون أي تخطيط؟

فكرت. مثل دخوله هو في حياتها دون توقع.أجابها بلهجة غامضة

وكانه قرأ افكارها:

- وقتها سنرى.. ألست جائعة؟

- انا أموت جوعا.

فرد الغطاء بعناية تحت شجرة. قال وهو يرفع غطاء السلة بحركة استعراضية:

- والآن اجلسي في راحة وراقبي.

أخرج من السلة سلطانية سلطة من الفضة وكاسين من الكريستال وطبقين من الصيني الرقيق.

سألته الشابة وهي مبهورة:

- هل أنت واثق أن هذه نزهة خلوية؟

قال معترفا:

- لابد أن أعترف بان خبرتي قليلة في هذا الشان ولكن هذا سيفي بالغرض.

فتح إحدى زجاجتي عصير العنب وملأ الكاسين. قال وهو يرفع كاسه عاليا:

- في صحة النزهات الخلوية!

فعلت "فيونا" مثله وارتشفت من العصير اللذيذ. كان كل ما تراه أمامها يشيع البهجة: الفوط التيل وسلطة الكابوريا المزينة بطريقة فنية، فضلا عن الخبز الفرنسي والمشروبات.

ناولها "ڤيك" أدوات مائدة من الفضة وطبقا ثم أسند ظهره -في استرخاء- على جذع شجرة معمرة ليستمتع بحلاوة الصيف. كان يبدو عليه الارتياح والاسترخاء والشرود بعيدا.

قالت:

- الحق معك يا "ڤيك".

- في أي شيء؟

- في حضورك إلى هنا. إن المكان هادئ جدا وبعيد عن بارونات وكونتيسات التمثيلية.

- هذا صحيح.

ألقت "فيونا" برأسها وشعرها الطويل للخلف وأدركت إلى أي مدى كانت تجهل الحياة.

سألها "ڤيك":

- فيم تفكرين؟

- إنني افكر في أنك اكتشفت جزءا كبيرا مني في هذه الأيام الأخيرة: عائلة ودود، وطفولة بسيطة ولكن بدون مشاكل، وواضح أنها عادية، وأصدقاء مجانين بعض الشيء، وأنا لا أعرف عنك سوى البارون. هل هذا هو الوجه الوحيد الذي تريد أن تظهره لي؟

لم يجب "ڤيك" وركز كل انتباهه على سلطته فالحت عليه:

- إذن ماذا؟

- ماذا ماذا؟

- حقيقة يا "ڤيك" انت أحيانا تثير الحنق. أريد أن أعرف المزيد عن حياتك وعن الحلويات التي تعدها والدتك وعن طفولتك.. وما هي المدرسة .. هل هربت منها؟

- وأنت؟

- ماذا؟

- هل سبق لك أن هربت من المدرسة؟

اعترفت وهي تضحك:

- نعم.. مرة واحدة. كان على كل المدرسة أن تذهب إلى الكنيسة وأنا و"روزماري" اجتاحتنا رغبة مجنونة في الهروب. لقد ذهبنا حتى الورشة الميكانيكية للسيارات الخاصة بوالدي الذي دعانا إلى المطعم ولكن أمي كانت غاضبة. يا إله السماوات يا "ڤيك"...

- يالها من لهجة تستخدمها أمينة مكتبة.

صاحت:

- أنت لازلت تدفعني للحديث، والآن جاء دورك لتتكلم. هل كنت تحب المدرسة؟ وما هو كتابك المفضل؟ ومن من أفراد عائلتك مهم بالنسبة لك

أكثر من غيره؟

اقترب "فيك" منها بهدوء ونزع نظارتها وقال ضاحكا:

- يقال: إن الناس الذين يرتدون نظارات طبية يكفون عن الحديث إذا انتزعت منهم.

ردت "فيونا" شبه مسرورة وشبه متضايقة:

- لم أسمع أبدا مثل هذا الهراء. هل تحاول أن تشتت أفكاري؟

حدق فيها "فيك" بإمعان قبل أن يجيب. الكثير من الأشياء لدى "فيونا" سحرته، وها هو يكتشف ميزة جديدة لدى الشابة: إنها لا يهمها أمواله ولا بنوكه ولا أسلافه، وهي تريد ببساطة أن تعرفه هو، وقد تأثر بذلك وأحس بالضيق:

- أوافق وأنا أستسلم.. نعم لقد حدث لي كثيرا أن هربت من المدرسة. والدي لم يصحبني أبدا إلى المطعم مثلما فعل والدك وأنا لم آكل سوى الجاتوه الذي كانت تصنعه مربيتي، وكان اسمها "جيسي". وقد بقيت سنتين عندنا وهو رقم قياسي بالنسبة لاستمرار المربية عندنا.

سألته "فيونا" وقد اتسعت عيناها:

- مربية؟

- بعض الأطفال تربيهم أمهاتهم والبعض الآخر تربيهم المربيات.

- وهل هن لطيفات؟

- معظمهن.. نعم.

- ووالداك؟

- لقد كان والداي دائما لطيفين معي ولكني -غالبا- ندمت لأنني لم أكن قريبا منهما. لقد ربياني بطريقتهما مثلما فعل معهما والداهما. إنه نوع من التفكير الطبقي.

شاب الحزن وجه "فيونا" وحاول أن يسري عنها:

- إن أسرتي يا "فيونا" لا تشبه في شيء أسرتك ولكنها لم تكن سيئة. لقد مات والدي ووالدتي عندما التحقت بالجامعة.

- لهذا السبب كنت قريبا جدا من "سيلفيا وهيبرت هارينجتون"..

- نعم. لقد توليا رعايتي بعد والدي، وأنا أحبهما كثيرا تماما كما أحبك.

- لا شك أن أسرتي تبدو لك متدخلة.

- لابد أن أعترف أنها هكذا أحيانا وأحس أن الكيل فاض بي من ذلك التدخل. إنني على أية حال لم أتعود على الناس شديدي الترابط وحبهم شديد البساطة.

- ليس هناك ما يحتاج إلى فهم يا "فيك" فالحب هو الحب.. وربما ليست لدينا نفس وسيلتكم في التعبير عنه.

إن كل شيء يبدو بسيطا جدا في ذهن الشابة حتى إنه لم تواته الشجاعة على الاستمرار في شرحه أكثر من ذلك.

سالته "فيونا" في رقة:

- وماذا فعلت حتى الآن؟

- لا شيء كثيرا.. مدرسة ودراسة المال ثم الرسو نهائيا في بنك العائلة.

أحست للحظات أنها صريعة حزنه وشجنه ثم استعادت قوة أعصاب آل "فينيجان" الأيرلنديين لتتخلص من ذلك الشعور في الحال.

قالت له هامسة:

- إنني أتصور أن هذا النشاط يستغرق قدرا كبيرا من الوقت.

كانت الشابة تحس بمدى المسافة التي تفصل بينهما. لابد أن "فيك" في حاجة إلى استرداد أنفاسه، وكان النهار فعلا ممتعا لا يستحق أن تفسده بعواطفها. بدأت تبتسم وترمي الأطباق في السلة.

قال "فيك" وهو يمنعها بحركة من يده:

- لا داعي لذلك. فأمامنا وقت قصير جدا. هل يمكن أن نتمشى قليلا؟

كانت قلقة من أن تعود ثانية إلى هواجسها التي كانت تربط بينهما فيما مضى.. في عطلة نهاية الأسبوع الشهيرة. ردت على سؤاله بابتسامة سعيدة. تشابكت يداهما وأخذا يتسكعان وسط الزهور البرية والأشجار المعمرة وقد أثار هذا الجو داخلهما أحاسيس جديدة.

همست "فيونا" والقلب مليء بـ"ڤيك":

- ياله من هدوء!

وافقها "ڤيك" برأسه. كان حريا بهما أن يظلا سائرين هكذا ساعات وساعات وضوء الشمس ينير وجهيهما. قاما بجولة حول البحيرة الصغيرة وهما يتناقشان في مرح وانتهيا بالعودة إلى ذلك المكان المتسع حيث سبق أن تناولا وجبتهما، وبعد دقائق وضعا الأكواب الكريستال والأطباق الصيني في السلة الأنيقة.

قالت له:

-أريدك أن تعلم يا "ڤيك" أنني على استعداد للتنزه معك نزهات خلوية كل يوم وفي المكان الذي تريده.. لقد كانت نزهة ممتعة للغاية ولقد أثرت فيّ تماما.

سألها وهو يداعب شعرها:

- هل أعتبر هذا ارتباطا من جانبك؟

- إنني أتساءل يا "ڤيك" عما إذا كنت قد وضعت نقطا من إكسير ساحر في عصير العنب اللذيذ الذي شربناه؛ لأنني أحس بأنني غريبة التصرفات.

أجابها برقة قبل أن يأخذ السلة ليضعها في الحقيبة الخلفية للسيارة التي قادها في هدوء حتى المكتبة.

قال "ڤيك" عندما وصلا إلى بوابة المنشآت:

- إن من المتوقع أن يكون لدي عمل كثير غدا وأريد أن أذهب لرؤية أصدقاء في المساء.

في الحقيقة كان يفضل أن يقضي الأمسية مع الشابة ولكنه كان في حاجة لمقابلة آل "ميلروز". بدا وكأن وجوده بجوار "فيونا" أعطاه الرغبة في وصل العلاقة مع معارفه. إنه شعور جديد وهو يريد أن يشارك أصدقاءه الحميمين فيه.

أجابته:

- بالتأكيد الحق معك يا "ڤيك".. أعرف أن لك حياة خارج جدران

مكتبتي.

في الحقيقة كانت تجد صعوبة في تقبل هذه الفكرة.

سألها في لهفة وهو يقف بالسيارة:

- هل ستشتاقين إليّ؟

خلعت "فيونا" نظارتها الطبية فسألها:

- لماذا تفعلين ذلك؟

- ماذا؟

- لماذا تخلعين نظارتك في كل مرة تريدين فيها الإجابة عن أسئلتي؟

ضحكت:

- هذا ليس صحيحا يا "ڤيك".. لدي النية فعلا أن أجيب عن سؤالك ولكن كل ما هناك أنني أريد أن أراك بوضوح!

- حسنا.. إذن قولي لي: إنك ستشتاقين إليّ.

- نعم سأشتاق إليك. لقد بدأت أتعود أن أراك.

شعر بالرضا من الإجابة ودار حول السيارة ليفتح لها الباب:

- أتعشم أن تحاولي أن تستبقيني بضع لحظات.

كان ينظر إليها في مكر ولكنها ردت عليه:

- لا.. لقد عشت يوما بدون أكل وأعتقد أنني سأتحمل الصدمة.

اقترب منها وتوغلت نظراته في أعماق عينيها.

قالت "فيونا" في نفسها: "من المؤكد أنه يوجد في عصير العنب إكسير الحب."

الفصل السابع

بعد الظهر جلست "فيونا" على درجات سلم القاعة الضخم وهي تنظر بعين شاردة إلى بعض مجموعات الآباء والأمهات. كان يوم الجمعة وهو أكثر الأيام نشاطا في الأسبوع ومع ذلك كانت تائهة مثل أميرة عاطلة لا تعرف ماذا تفعل. كان وجه "ڤيك" يطاردها باضطهاد. إنها تشتاق إليه وهذا واضح. إن فكرة أن تقترب منه وتشعر بالأمان والحماية أصبحت ضرورة وهي تسعدها وتقلقها في آن واحد.

ناداها العجوز "آرشي":

- "فيونا"! لقد حان الوقت لنبدأ.

- ساصل خلال دقيقة يا "آرشي" ويمكنكم أن تبدءوا بدوني وسالحق بكم.

سارعت بإلقاء بعض الأوراق في سلة المهملات الخارجية. كانت شاردة تماما في تلك اللحظات لدرجة أنها نسيت أنه في هذا اليوم

-مثل كل آخر جمعة من الشهر- ينظم "آرشي" العابا لأطفال الحي، ويحب آباؤهم وأمهاتهم أن يشتركوا فيها، وكانت لعبة اليوم تتعلق بتنظيف المقابر القديمة في ساحة القبور. فجاة وقفت الشابة مذهولة أمام جسم "ڤيك" المالوف.

همهمت وهي تسقط الأوراق:

- يومك سعيد!

قال لها وهو يمسك بكتفيها ليطمئنها:

- "فيونا".. "فيونا"! لم أعتقد أنني أؤثر عليك بهذه الدرجة.. إنه أنا ببساطة!

استطاعت بصعوبة أن تقول:

- "ڤيك".. إن الأمر يبدو وكانني رأيت شبحا أو كان إحدى أفكاري تجسدت فجاة إلى حقيقة.

صاح وقد ظهر تماما أنه تاثر:

- إذن أنت تفكرين في!

أجابته الشابة بهدوء بعد أن استعادت أعصابها:

- لقد ظننت أنني لن أراك اليوم.

- فعلا.. ثم إنني لن أستطيع أن أبقى معك أكثر من ساعة. في الحقيقة لقد نسيت أن أخبرك بالأمس أنني أريد منك شيئا؛ ولهذا السبب أنا هنا.

قالت في سخرية:

- وأنت في حاجة إلى ساعة لتقوله لي؟ لابد أن الأمر جوهري.

قال وهو يبتسم:

- هل يمكن أن تتعشي معي مساء غد؟

- أتعشى معك؟ إنه مشروع مغر جدا.

- رائع! إنه يتعلق بالأسرة.

www.rewity.com

قالت "فيونا" وهي تخلع نظارتها فجاة وتضحك:

- من المؤكد أنك تريد أن تقول لي شيئا آخر مادمت قد كرست ساعة كاملة من وقتك لذلك.

أجابها وهو يضحك مثلها:

- لا.. بالتأكيد لا.. كل ما حدث أن لدي ساعة بأكملها وأنا حر بين موعدي لدى آل "ميلروز" والتزاماتي المهنية، ولا يوجد مكان لدي رغبة أن أقضي فيه تلك الساعة إلا بجوارك.

ابتسمت قبل أن ترى عند ناحية الممر مجموعة "آرشي" المرحة التي يقودها نحو ساحة المقابر.

- هذا لطيف منك يا "ڤيك" ولكني آسفة؛ لأنني وعدت "آرشي" أن أصحبه.

قاطعها "ڤيك":

- الأمر ليس خطيرا. سانضم إليكما. بالتأكيد كنت أفضل لقاء عاطفيا بمفردنا ولكني سأتحمل.

مرر ذراعه حول كتف الشابة وتشابكت يداهما وهمس في شعرها الحريري:

- أريني الطريق إلى المقابر.

سارعا بخطوات واسعة ليلحقا بالمجموعة الصغيرة.

سألها "ڤيك" الذي أخذ يتبعها خلال الأشجار:

- ماذا يفعل "آرشي" إذن اليوم؟

- إنه مشغول بنادي يوم الجمعة الذي يجمع صبية من سن خمس إلي خمس وعشرين سنة الخالين من العمل كل جمعة من آخر الشهر. اليوم عليهم أن يكشطوا الأحجار القديمة للمقابر.

قال لها بنظرة ماكرة:

- في الحقيقة ليس هذا هو نوع العلاقة التي أفضلها ولا أعتقد أنه

المكان الرومانسي المثالي!

- من فضلك يا "ڤيك" كن جادا ودعنا نسرع.

وصل طفل قبل أن يرد "ڤيك" وهو يجري نحوهما. قالت "فيونا" بسرعة وهي تحاول إخفاء انفعالها:

- صباح الخير يا "توني".

- لقد تأخرت يا خالتي "فيونا".. وأنت كذلك.

اندس الصبي الصغير بينهما وقال "ڤيك" بهدوء:

- صباح الخير.

كشر وجه الصبي وأمسك بيدها. أخذت "فيونا" تراقبهما باهتمام بالغ. كان من الواضح أن البارون ليس على راحته. ربما لم يتعود على الأطفال مثل معظم العزاب. أخذ "توني" بحماسه الطفولي يشرح نشاط ما بعد الظهر، وبذل "ڤيك" جهدا غير عادي حتى يركز على ثرثرة الطفل غير المفهومة.

صاحت "فيونا":

- إن "توني" خبير في كشط القبور والأحجار القديمة.

همهم "ڤيك" بصوت مخنوق:

- يالها من طريقة غريبة لقضاء وقت الفراغ!

فجاة بدأ الصبي يجري أمامهما لينضم إلى المجموعة المحيطة بـ"آرشي"، وانتهزت "فيونا" الفرصة لتمسك بيد "ڤيك". همست قبل أن يقاطعها حديث الرجل العجوز:

- كم هو جميل أن ألقاك!

شرح "آرشي" ببطء في الجمع الصامت:

- هذا هو قبر "السحابة الصغيرة" وكانت امرأة صغيرة هندية وشجاعة عاشت هنا من سنوات طويلة، وخلال شتاء قاس جدا عبرت السهول والجبال لتحضر الأدوية لأهلها.

بعد أن انتهى "آرشي" من سرد حكايته قدم عرضا لكيفية تنظيف الأحجار، وبعد ثوان من الكشف والحك النشيط بالصنفرة نجح في إظهار الحروف المحفورة على شاهد القبر من سنوات طويلة.

قال لـ"ڤيك" وهو يناوله فرخ الصنفرة:

- الآن الشرف لك يا سيد "هارينجتون".

بدا وجه "ڤيك" للحظات مشدوها ثم تقدم سائرا فوق القبر مثل تمثال مقدس، ولمس على مضض الأحرف المكتوبة على شاهد القبر التي محاها الزمن. كانت "فيونا" مذهولة؛ إنها لا تفهم أن رجلا من نوعية "ڤيك" الراقية وذا الشخصية القوية يمكن أن يرتجف من لعب عيال. لقد لحظت على وجهه ألما ممضا قاتلا يخترق عينيه السوداوين. ثم عاد "ڤيك" إلى جوارها.

همست في أذنه:

- لقد كنت ممتازا.

رد عليها بابتسامة:

- إنني سريع التعلم.

عاد إلى تعبيراته الطبيعية وتساءلت الشابة عما إذا كان خيالها قد جمح بها.

مرا معا من قبر إلى قبر وهما يستمعان إلى حكايات "آرشي" الذي استطاع أن يحبس أنفاس مستمعيه وسرعان ما سيعود الجميع إلى ديارهم ويحكون لإخوتهم آخر حكايات الرجل العجوز بألمها.

- كيف استطاع أن يعرف كل هذه الحكايات؟

أجابته "فيونا":

- إنه يقضي وقتا طويلا في المكتبة.

لم ينصت لإجابتها وإنما انتهز وصولهم إلى منحنى فابعدها عن المجموعة وأمسك بيدها في حنان.

قالت له هامسة:

- أعتقد أن عليك الرحيل.

نظر إلى ساعته:

- هل تحاولين التخلص مني؟ لايزال أمامي سبع وعشرون دقيقة...

لقد مر وقت طويل منذ اهتم "ڤيك" بالدقائق والثواني من حياته. ولكنه منذ التقى بـ"فيونا" تعلم كيف يتمتع بكل دقيقة من وقته.

صاحت "فيونا":

- بالتأكيد لا يا "ڤيك" ولكن..

قاطعتها صرخات "توني" المرعبة وسأل في انفعال:

- هل ستشتركين في سباق الأجولة؟

صاح "ڤيك":

- سباق الأجولة؟

- نعم.. إنه ممتاز نحن ننهي دائما نهارنا به.

قالت له "فيونا":

- سنرى يا "توني".. وعد إلى هناك من فضلك.

كرر "ڤيك" وهو مندهش وغير مصدق:

- سباق الأجولة؟

- إنه نوع من التقاليد هنا. إن الأطفال يحبون أن يروني أجري ومعي شريك داخل الجوال ويحاولون أن يضربوني.

- وما هو المفروض منا أن نفعله؟

- لابد أن ندخل أنا وأنت في جوال واحد.

- أنت تهزئين بي يا "فيونا".

- لا على الإطلاق. إننا سنكون مثل جوال البطاطس، وانتبه يا سيد "هارينجتون"؛ لأنني سريعة الحركة.

كان الأطفال قد اصطفوا من قبل اثنين اثنين عند نقطة البدء. قدم

angelos www.mawsoo.com

"أرشي" -بحركة تمثيلية- جوال بطاطس فارغا وقديما انزلقت داخله بسرعة. قالت وهي تضحك وهو ينضم إليها في الجوال الخيش الكبير:

- انتبه يا "ڤيك". إنها مباراة الأجيال!

رفعا القماش حتى صدريهما واستعد "أرشي" لإعطاء إشارة البدء. ثم أطلق صفارة قوية:

- هيا أيها السيدات والسادة لتسجيل نقاطكم.

همس "ڤيك" في أذن "فيونا":

- يبدو أنني سأحب هذه اللعبة.

حاولت الشابة أن تخفي اضطرابها وقالت:

- لست أدري كيف قضيت طفولتك دون أن تشترك في سباق الأجولة.

صاح وهو يضحك:

- إنني أتساءل بوجه خاص كيف استطعت أن أقضي صبايّ بدونك.

ردت عليه بحزم:

- "ڤيك"! من الأفضل أن تنتبه وتركز على السباق.

تابع "أرشي" تعليماته:

- استعداد!.. انطلقوا!

اندفع "توني" ورفيقه كالسهم يتبعهما عن قرب بقية الثنائيات داخل سبعة أجولة تمثل الشباب بينما أخذت "فيونا" و"ڤيك" يلهثان وراءهم ويحاولان دون جدوى القفز معا.

صاحت "فيونا" بصوت يعلو على الضحكات الصادرة من الآباء والأمهات الحاضرين للسباق:

- هيا اقفز معي يا "ڤيك".

استطاع "ڤيك" أن يقول وأنفاسه مقطوعة:

- أعتقد أنني أتصرف بطريقة جيدة في هذه اللعبة.

رأى أول زوج من الأطفال يصل إلى الغابة فصاح وهو يسرع في

قفزاته:

- هيا أسرعي!

احتجت الشابة:

- أوه ولكن ساقيك أطول من ساقيّ.

قال وهو يضحك:

- ولكنهما جميلتان.. هيا يا كونتيسة لقد وصلوا إلى خط النهاية.

كانا قد قررا أن يلحقا بالمنافسين فضاعفا من جهودهما وانتهى الأمر بأن تدحرجا معا في مشهد مثير.

صاحت الشابة وهي تتعلق به:

- "ڤيك"!

- في الحقيقة هذه الأجولة مريحة جدا.

- أريد أن أخرج من هنا يا "ڤيك".

- ولكني أجد الموقف ممتعا.

- الأطفال يا "ڤيك"..

- إنهم متقدمون عنا يا عزيزتي.

استطاعت الشابة أن ترفع رأسها بصعوبة لترى الأطفال ووالديهم يحيون "أرشي" لآخر مرة.

قال "ڤيك" وهو يخفي بصعوبة رضاءه:

- أخشى أنهم نسونا تماما. أنت جميلة يا "فيونا".

ردت عليه ببساطة وقد أغمضت عينيها:

- إن نظرتك يا "ڤيك" هي التي تعطيني هذا الجمال.

صمتت فترة طويلة ثم سألته:

- هل تظن أنهم سيتركوننا هنا للأبد؟

قال مازحا:

- إلى أن يذوب جسدانا مع الزمن.

صاحت الشابة وهي تضحك:

- في جوال بطاطس!

نهضت "فيونا" وأخرجت ساقيها الطويلتين من الجوال الذي كانت سجينة بداخله. قالت له وهي تنزع الوبر الخفيف من فوق بلوفر "ڤيك":

- أعتقد أنه من الأفضل أن نعود.. لابد أن ترحل.

- الحق معك.. من الواضح أن الوقت يفلت منا دائما.

أغرقتهما شمس بعد الظهر واستأنفا مرة ثانية طريق العودة إلى المكتبة.

فكر "ڤيك" في نفسه أنه من الأسهل عليه التنفس في هذا المكان؛ لأن كل شيء سهل وبسيط. لقد كانت أيامه المرتبة مسبقا تتعارض مع حياتها المفعمة بالحركة والإثارة بدلا من ملئها بالمواعيد المحددة والرحلات المضبوطة بالساعة والثانية ولكن ألم يختر أن يعيش على هذا المنوال منذ وفاة "آن"؟ وكأنه كان يريد أن يمحو للأبد هدوء نهار مثل هذا اليوم ولكنه غير قادر على مقاومة البساطة والجمال عند "فيونا فينيجان".

تشابكت أصابعه مع أصابع الشابة ثم استأنفا تنفسهما.

الفصل الثامن

هذه الليلة لم تنم "فيونا" إلا نوما متقطعا وكأنها تقوم بغفوات الملائكة كما تعودت أمها أن تقول لها. فكرت "فيونا" أنها غفوات الشيطان. نهضت قبل الفجر بقليل لتحتسي كوبا من اللبن في المطبخ.

إنها لم تكف أبدا عن التفكير في "ڤيك" الذي لابد أنه بعيد في تلك الساعة المتأخرة.. بعيد عنها وعن مكتبة "ثورن" العامة. ومع ذلك كان الأمر وكأنه لم يتركها أبدا، وأدركت أنها بدأت تشعر بزيادة آلامها وصعوبة أن تستغني عنه.

ابتلعت -في تلذذ- اللبن الساخن الذي صبته في قدح قدمته لها "روزماري" هدية، وقد كتب على القدح: "صديقتان مدى الحياة". لفت ثوب النوم حولها بقوة وهي ساهمة.. اقتربت من النافذة بجسدها المشوق.

أخذت تفكر: لا يا "فينيجان".. إن العواطف التي تشعرين بها نحو

www.angelsweity.com

"ڤيك" لا صلة لها بالصداقة ثم إنها لم تشعر بمثل هذه العواطف من قبل نحو أي رجل كان.

ارتشفت لبنها وازاحت الستائر بيدها. كان القمر الأحمر مركزا على مكتبة "ثورن" ويغمر المنطقة بضوء ذهبي غامق.

###

على بعد كيلو مترات من هذا المكان.. كان حالم آخر تائها في شقة فاخرة ولا يستطيع أن يجد هو الآخر سبيله إلى النوم. قبض "ڤيك" بقوة على كوبه المليء بعصير العنب وهمهم:

- لو استطعت لأمكنني.

لأمكنه أن يفعل ماذا؟ إنه لا يعرف ماذا سيفعل؟ شرد "ڤيك" في أفكاره وقام بجولة في الفناء. إن "فيونا فينيجان" تسبب له الاضطراب.. إنها مسيطرة عليه تماما وبطريقة اضطهادية.

لقد أصبحت مخدرا أدمنه وهذا لن يساعده على تحليل وضعهما بطريقة صافية. عاد إلى حجرته وتمدد فوق سريره الفسيح وكونتيسته تطارد أحلامه منذ البداية.

###

أغمضت "فيونا" عينيها لتتمنى أمنية. ماذا إذن يمكنها أن تأمل؟ أن يكون لها مغامرة عاطفية مع "ڤيك هارينجتون".. البارون السابق ورجل البنوك الثري؟ وهل ستكون ببساطة لمدة أسبوع أم نهار واحد؟

تقلبت الشابة على سريرها وهي تبتسم وهمست وهي تدس وجهها في وسادتها:

- تصبح على خير يا باروني.

عندما اضطرت للاستيقاظ بعد وقت قليل تمطت في كسل. كان ليلها المفعم بالحركة لم يتح لها أي فرصة للراحة. هبطت من سريرها وهي شبه نائمة ثم أخذت دشا وارتدت ثوبا منزليا مريحا لونه أخضر زرعي.

فكرت أنه لو حالفها الحظ ولو قليلا -وإن لم تؤمن بأن الحظ معها- لألغي اجتماع العائلة وتستطيع أن تدعو "ڤيك" على "بيتزا".

ولكن لا.. إنها لن تراه بالتأكيد هذا المساء، وأحزنتها هذه الفكرة بعض الوقت. رن جرس التليفون فقطع حبل أحلام يقظتها. صاحت:

- صباح الخير يا "روزماري"!

ردت عليها صديقتها:

- إنني أجد صوتك متحمسا بدرجة مبالغ فيها. ما الذي لا يجري بطريقة طيبة؟

- لا شيء على الإطلاق.. فقط أنا سعيدة بسماعك.

- أنا أتصل بك يا "فيونا"؛ لأحكي لك قصة غير معقولة حدثت لي..

لم تنتظر "فيونا" أن تبدأ صديقتها الحكاية فالقت بنفسها على الأريكة؛ لأنها كانت تعلم أن حكايات "روزماري" قد تستغرق وقتا طويلا.

تابعت "روزماري" حكايتها وهي منفعلة للغاية:

- لابد أن أذهب إلى برج "هابات" لأسلم أثوابا بمناسبة سهرة أنيقة.

قالت "فيونا" بصوت شارد:

- هذا رائع يا "روزماري".. إن الأعمال ناجحة تماما.

- انتظري! ليس هذا ما اتصلت بك لأحكيه؛ في اللحظة التي هممت فيها بمغادرة المكان خمني من وجدته في البهو؟

- هيا قوليها يا "روزماري"!

- البارون "ڤيكتور".

- "ڤيك"؟

- آه يا "فيونا"! كم أحب أن أسمعك تنطقين هذا الاسم بهذا الصوت الملهوف.. إنه معبر أكثر من أي تصرف غرامي.

- هذا يكفي يا "روزماري"!

- أنت تحبينه بفظاعة. وهذا واضح في عينيك أيتها الصغيرة

"فينيجان". انا أعرفك من وقت بعيد يسمح لي أن أقرر أنك عاشقة، وأنا أعرف أيضا أنه مختلف تماما عن الرجال الذين قابلتهم من قبل.

- موافقة يا "روزماري" وأعترف بانني أقدره كثيرا ولكن..

- ولكنكما تنتميان إلى عالمين مختلفين.. أليس هذا ما تعنينه؟ ولكن ما دخل هذا؟

- أنا لا يهمني ما يقال ولكني أحيانا أحس انني لا أعرف سوى الجزء التافه من حياته وأخشى أن أصاب بالخيبة لو اكتشفت البقية.

- إذن تعلمي كيف تعرفينه. ثم عليك يا "فيونا" أن تفكري في النساء اللاتي يحلمن بأن يكن في مكانك.

- "روزماري" أنت تبسطين الأمور بدرجة مبالغ فيها.

أجابت صديقتها بصوت جاد:

- لقد آمنت دائما بأن الحب شيء سهل ولكن العديد من الناس يجعلونه شيئا معقدا.

- أنت مثيرة للسخرية يا "روزماري"! من أين أتاك أن تعرفي أننا متحابان.

- أيا كان الاسم الذي تطلقينه على العلاقات التي بينك وبينه فهو أمر طيب. في الحقيقة إن الطريقة التي تنطقين بها اسمه تشبه عدم الاكتراث بالنسبة للطريقة التي ينطق بها اسمك.

أجابتها "فيونا" وهي تضحك بملء فمها:

- أنت غير قابلة للإصلاح يا "روزماري" من الناحية الرومانسية. بالمناسبة هل كان "ڤيك" بمفرده؟

- لا إنه كان مع امرأة فاتنة!

قالت الشابة بعد أن نجحت في إخفاء خيبتها:

- أوه!

- نعم.. امرأة جميلة ذات شعر فضي اسمها العمة "سيلفيا" على ما

أظن. هل تعرفينها؟

ردت عليها "فيونا" في الحال وقد أحست بالارتياح:

- نعم.. إنها هي التي نظمت عطلة نهاية الأسبوع الشهيرة.. و"ڤيك" قريب منها جدا.

- حسنا يا عزيزتي.. لابد أن أتركك الآن. لدينا مزاد بيع اليوم فتعالي لمقابلتنا.. إلى اللقاء.

أغلقت "فيونا" الخط وحاولت أن تهتم بالبرنامج الذي أعدته لتشغل به يوم السبت.

مستحيل! ودت لو جلست في مقعد ذي مساند ولم تتحرك منه.

استطاعت أخيرا أن تنهض، وذهبت إلى الحمام لتمشط شعرها بنشاط. تساءلت: "هل سيتناولان العشاء معا هذا المساء؟" مرت أمام التليفون مرة ومرة ومرات ويطاردها وجه البارون، وانتهى بها الأمر إلى أن لبست نظارتها الطبية وخرجت حتى تغير أفكارها.

###

همس "ڤيك" وهو جالس عند طرف المائدة المصنوعة من خشب البلوط الفاخر حيث قُدم له إفطار فاخر:

- "سيلفيا"! ساحضر هذا المساء ومعي شخص.

كان عائدا من موعد مهم في مقر البنك وقبل بفرح دعوة عمته "سيلفيا" التي لم تره منذ عطلة نهاية الأسبوع الشهيرة، وقد شاركته طعام الإفطار في مطعم "هابات" الفاخر:

- رائع! يا عزيزي... إن هذا يسعدني. هل هذا الشخص واحد من معارفنا؟

- نعم.. ولا.. إنها تسمى "فيونا فينيجان".

كررت "سيلفيا" الاسم وهي تهز رأسها:

- "فيونا فينيجان".. لديّ إحساس أنني سبق لي أن سمعت هذا

الاسم.

- لقد كانت شريكتي أثناء عطلة الأسبوع المثيرة. هل تذكرين الكونتيسة؟

- بالتأكيد. الكونتيسة! إنها صديقة "ليو".

- نعم.. والآن أصبحت صديقتي أيضا.

أخذت "سيلفيا هارينجتون" تتفحص وجه "ڤيك" وظلت صامتة بعض الوقت. فقال:

- لقد قابلتها مرات عديدة من وقتها.

- إنها فاتنة.

استرخى "ڤيك" فوق مقعده ذي المساند:

- نعم .. ككونتيسة.. ولكن "فيونا" لها جمال من نوع مختلف ولا أعرف كيف أشرحه لك.

- على أية حال تبدو متعلقا بها كثيرا.

- لقد سحرت في البداية بالفتاة التي تعرفينها. لقد كانت غامضة وأردت أن أعرف عنها المزيد ثم.. اكتشفت أنها شخصية مختلفة تماما، وهذا أمر غريب يا "سيلفيا" فقد كانت تختلف تماما عما كنت أظن أنني ساكتشفه.

بعد هذه الكلمات أخذ فاتورة الحساب من يد عمته ونادى النادل. نهضا ثم تسكعا أمام المعارض التجارية المجاورة للمطعم.

وقفت "سيلفيا" فجأة أمام لوحة معروضة والتفتت نحو "ڤيك" ثم ربتت على خده وقالت:

- هل تعرف أن "أبي" و"ستان" سيكونان معنا هذا المساء؟

كان -بالتأكيد- يعرف ذلك ولكنه أحس بالحيرة وبضرورة أن يقدم لهما "فيونا".

###

مر النهار بسرعة مليئا بمواعيد عمله المعتادة، لم يجد "ڤيك" إلا الوقت الكافي فقط لأن يمر على شقته لتبديل ملابسه. عقد لآخر مرة ربطة عنقه ثم أخذ بسرعة مفاتيح سيارته، ونجح في الاتصال بـ"فيونا" وسط النهار واتفقا على أن يمر عليها لاصطحابها في وقت مبكر حتى يستطيعا أن يتمتعا ببعض الخصوصية. لم تساله حتى عن الأشخاص الذين ستقضي معهم السهرة واعتبر هذا علامة على مدى ثقتها العظيمة فيه.

صعد "ڤيك" سيارته الـ"بورش" وسلك الطريق المؤدي إلى أعالي "فيلادلفيا".

بعد وفاة "آن" كانت فكرة الارتباط في علاقة عاطفية جديدة فكرة فارغة بلا معنى وكأنه فقد كل طاقته على الحب. شيئا فشيئا كون نوعا من عدم الاكتراث لا مثيل له وهو يقضي ليالي وسهرات المليارديرات، وقد تتابعت النساء عليه وكان لديه كفايته إلى أن رأى "فيونا".

هدأ من سرعة سيارته بصعوبة ثم دخل الممر المؤدي إلى مملكة "ثورن". كانت "فيونا" في انتظاره وهي على استعداد للقفز داخل السيارة.

سألها بابتسامة ماكرة وهو ينحني ليفتح لها الباب:

- هل كنت شديدة القلق؟

- لا على الإطلاق.. مجرد سعيدة برؤيتك.

تأثر "ڤيك" من بساطة الشابة وأخذ يتأملها على راحته: كان وجهها البيضاوي غارقا في ضوء القمر وزاد من بهائه شعرها المتراقص فوق كتفيها.

سألته:

- هل أنا مقبولة؟ كما أنني لست أدري إلى أين نحن ذاهبان.

همهم وهو ينطلق بالسيارة:

- أنت رائعة وكاملة الأوصاف..

لم تكن هذه هي العبارة المناسبة، فقد كانت "فيونا" بعيدة تماما عن كونتيسة تلك التمثيلية. هذا المساء كانت هي نفسها متوجة بجمالها الهادئ: كانت قد خلعت نظارتها الطبية، وكان ثوبها الحريري -بلون الزمرد- قد أبرز لون عينيها الواسعتين، وكل ما كان لديها من حلي هذه الليلة هو عقد من الصدف حول عنقها. كان "ڤيك" قد نسي أن الجمال يمكن أن يكون مؤثرا لهذه الدرجة، ووجد صعوبة شديدة حتى يمنع نفسه من إلغاء السهرة لياخذها مباشرة إلى شقته. ربت على خدها ثم استمر في قيادته.

- إلى أين ستقودني يا "ڤيك"؟

- إلى "نادي النهر". لقد تعودت أنا و"سيلفيا" و"هيبرت" أن نلتقي هناك مرة كل شهر.

- لا أحد سوى الثلاثة؟

- لا.. هذا المساء سيحضر أيضا زوجان من الأصدقاء سبق لك أن رأيتهما هما: "ستان وأبي ميلروز".

قالت بصوت شارد:

- هذا ممتاز!

تظاهرت الشابة بأنها مشغولة بمنظر الأنوار فوق المدينة وحاولت أن تتذكر وجهي "ميلروز". لقد قابلت العديد من الأشخاص أثناء عطلة الأسبوع الشهيرة. تساءلت: "لماذا تحدث عن اجتماع عائلي"؟ ثم فكرت في شيء آخر.

كان "نادي النهر" مقاما على تل يطل على منظر مذهل ويقع وسط الأحياء الغنية لـ"فيلادلفيا" وعندما وصلا استقبل "ڤيك" كشخص معروف في النادي من كبير الخدم ثم قادهما إلى مائدة "سيلفيا وهيبرت هارينجتون" اللذين كانا بانتظارهما.

أحست "فيونا" بالارتياح في الحال مع الزوجين. فكرت لحظات في والدي "ڤيك".. لابد أنهما كانا بالتاكيد على عكس "سيلفيا" و"هيبرت"، وكان من المؤكد أن الزوجين "هارينجتون" لم يكونا ليعهدا بتربية ابنهما إلى مربية. لقد حاولت أن تقص على أختها "بريجيت" طفولة "ڤيك" ولكنها لم تكن قادرة على فهم طبيعة تلك الطفولة. لقد كان ماضي "ڤيك" بالنسبة للأخت غامضا وأحست بشعور غير مريح أنه يخفي الكثير من الأسرار يجب عليه الكشف عنها.

صاح "هيبرت" فجاة وهو يشير في مرح إلى الزوجين الأنيقين اللذين اقتربا من مائدتهما. عندما انتهى التعارف عرفت "فيونا" أن "ستان ميلروز" هو المدعو الذي حل لغز جريمة القتل، وتذكرت في نفس الوقت مدى العاطفة التي ظهرت في عيني "أبي" في أول عشاء.

لقد كان آل "هارينجتون" يتمتعون بموهبة نشر جو من النجاح في كل اجتماعاتهم، ووجدت "فيونا" نفسها مندمجة في مناقشات حيوية تتخللها أطباق الطعام اللذيذ ولكنها كانت طوال العشاء تحس بأن "أبي" كانت تراقبها وتنصت بانتباه لكل كلامها.

سألتها "أبي":

- هل عشت طوال حياتك هنا؟

أجابت "فيونا" بابتسامة وهي تحتسي شراب الشوكولاتة المخفقة:

- نعم. عدا الفترة التي رحلت فيها إلى الجامعة ولكني سعدت عندما عدت إلى بيتي.

قالت "أبي" في اهتمام:

- لقد أخبرني "ڤيك" أنك أمينة مكتبة.

انطلقت "فيونا" بعدها في وصف مفصل وحماسي لمختلف أنشطة المكتبة وكذلك في مملكة "ثورن" وأنهت حديثها وقد احمر وجهها انفعالا.

www.ebooks8.com

- إنه عمل رائع وأنا أعشق كتب الأطفال.

تعشمت أن يعزو الحاضرون احمرار خديها قليلا إلى حماسها وليس لضغطات "ڤيك" الخفيفة على ركبتيها. قال "هيبرت" وهو يسترخي في مقعده حتى يستمتع بتدخين سيجارة:

- إن "ليو" هو صديقنا جميعا.. وهو يبالغ دائما في مدح مكتبته ولكن بالأخص لا يتعب من مدحك.

نكست "فيونا" رأسها واستمرت في تناول الحلوى في صمت. فكرت أنه حان الوقت لتعلم المزيد عن هؤلاء الناس وأن عليها أن تدير المناقشة بنفسها.

قالت في ثقة وثبات:

- أعتقد أنني تحدثت بما فيه الكفاية عن نفسي. أخبراني يا سيدة ويا سيد "ميلروز" منذ متى تعرفان "ڤيك"؟

رغم ما بدا عليه سؤالها من بساطة إلا أنه أذهل "آبي ميلروز" التي نظرت إلى "ڤيك" نظرة متسائلة ثم أجابت أخيرا:

- حسنا.. لم يكن وقتها سوى طفل صغير عندما عرفناه، وكان والداه من معارفنا، وكان يقضي الكثير من الوقت عندنا.

كانت كل كلمة من كلماتها موزونة بدقة. أحست "فيونا" أنها طرقت موضوعا ساخنا وقررت أن تتحدث عنه مع "ڤيك" فيما بعد. وحتى تخفف "سيلفيا" من الجو الذي توتر وأصبح فجاة ثقيلا أخذت تحكي بمرحها المعتاد عن آخر رحلاتهما هي وزوجها إلى "أستراليا". بدأت "فيونا" تبتسم ولكن نظرة "آبي" جعلتها تفقد كل ثقتها في نفسها.

صاح "ڤيك" الذي لاحظ علامات التعب على عمه وعمته:

- أصدقائي! أعتقد أنه حان وقت العودة ولابد أن أعيد "فيونا" إلى بيتها.

همست "آبي" للشابة وهي تمسك بيدها:

- "فيونا".. لقد قضينا أنا و"ستان" أمسية رائعة معك ويسعدنا أن نستقبلك يوما ما في بيتنا. أقصد أن يحضرك "ڤيك" لزيارتنا.

شكرتها الشابة بحرارة قبل أن تبتعد مع "ڤيك" لياخذا سيارته. سادها إحساس أن دعوة "آبي" ليست مجرد مجاملة وزيادة في التعارف وإنما هي ضرورة وأحست لذلك ببعض الضيق. صعد الاثنان إلى داخل السيارة.

همست "فيونا" وهما يدخلان الطريق الدائري:

- إنهما لطيفان جدا.

رد عليها "ڤيك" برقة وهو يمرر ذراعه حول كتفها:

- نعم.. تماما مثلك.

أحست "فيونا" أخيرا أنها تستطيع أن تتنفس في حرية، وفهمت أن روح المرح للأصدقاء لم يستطع أن يخفي بعض التوتر.

قالت بمرح:

- من الصعب الابتعاد عنك في هذه السيارة الضيقة.

- هل لديك رغبة في الهروب؟

كانت تعاني من أفكارها المتضاربة فلم ترد عليه في الحال. لقد حاولت التوغل في عالم "ڤيك" ولكنها لم تنجح ولكنها الآن ترغبه بشدة وسخرت من أنه تربى سواء على يدي قيصرين روسيين سابقين أو على يدي مربية عادية. أمسكت بيده ورفعتها إلى فمها لتطبع عليها قبلة:

- لا.. ليست لدي رغبة في الهروب يا "ڤيك".

- ما رأيك في تناول قدح قهوة في بيتي إذا لم تكوني مرهقة؟

أرخت رأسها على كتفه وهزت رأسها بـ"نعم". كانت تعرف دائما أنه سيطرح عليها هذا السؤال وأنها ستقول له: نعم.

كانت شقة "ڤيك" موجودة في الدور الأعلى من عمارة حديثة جدا. حملهما مصعد زجاجي حديث، وكانت "فيونا" لا تحس بساقيها من

شدة التعب ومع ذلك كانت سعيدة؛ لأنها تستطيع الاستناد عليه.

انفتحت أبواب المصعد المصنوعة من خشب الأكاجو الفاخر على الدور الأخير في النهاية.

خرجا من المصعد شبه متعانقين وأغمضت الشابة عينيها في سعادة تستمتع بسحر اللحظة. فتحت عينيها وهمست في أسف:

- "ڤيك"؟

- ماذا؟

- لقد فقدت إحدى عدساتي اللاصقة.

صاح في مرح:

- كم هو رومانسي هذا الموقف!

أخذ يتأمل عيني الفتاة الرائعتين.. إنهما بالعدسات اللاصقة أو بدونها يظل لهما نفس التأثير الصاعق عليه.

قالت وهي تبحث فوق قماش ثوبها:

- ربما كانت لاتزال موجودة على ثوبي.

أخذ يبحث فوق طيات ثوبها بعناية:

- دعيني أبحث.. لا يوجد شيء هنا.. ولا هنا..

أصبح صوته فجأة أجش. كان بحثه يشعل خياله ثم صاح وأصابعه تدخل في فتحة صدرها:

- أوه.. قد أعثر عليها هنا.

احتجت الشابة في ضعف:

- "ڤيك"!

- ولكني لم أعثر بعد على عدستك اللاصقة.

- ولكن ليست هذه هي الطريقة للبحث عنها.. إنني أجد صعوبة في التنفس. هل يمكن أن ندخل شقتك ونبحث على راحتنا؟

- بالتأكيد.. وسأثبت لك أنني لا أبحث إلا على راحتك ومساعدتك.

ثم أراها عدستها اللاصقة الموجودة في راحة يده.

- أعتقد أنه لا داعي لأن أسالك منذ متى عثرت عليها.

- الحق معك ولكن بوجه خاص لو فقدتها مرة ثانية فاستدعيني لأنني أعرف الآن المنطقة.

أخذ يضحك وهو يفتح باب الشقة.

قالت:

- كف عن مزاحك وأرني حمامك لأنني أريد أن أستعيد نظري.

بعد لحظات عادت لتجد "ڤيك" مسترخيا فوق الأريكة المكسوة بالجلد في الصالون. ناولها كوبا من عصير الفراولة. دارت عينا الشابة بسرعة في الحجرة. لم يسبق لها في حياتها كلها أن رأت حجرة ديكوراتها بهذا الذوق الرفيع. كان كل ركن وكل مادة قد اختيرت بعد دراسة متانية ودقيقة. فوق أرفف معدنية مطلية بالكروم اللامع صُفت بعض التماثيل القديمة الصغيرة بطريقة جميلة، والمدفأة المصنوعة من الرخام الأبيض لا تحتاج إلى يد من يشعلها. كان كل شيء كاملا لا ينقصه شيء ولا يعيبه.

قال لها وهو يبتسم:

- إنه بيتي الذي أقول عنه ما أحلى الرجوع إليه.

سارت "فيونا" بضع خطوات فوق السجاد ذي اللون البنفسجي بدرجاته الرقيقة والتي تعطي حرارة للصالون. ثم ذهبت لتفحص الكتب التي تدور حول الفن والتي تكون مكتبته.

نهض "ڤيك" واقترب منها. ثم جذبها نحو الأريكة وسألها وفي نظرته خبث:

- إذن ما رأيك؟

تشابكت نظراتها مع نظراته. لقد جعلها تعيش طويلا في هذا العالم بدرجة كافية جعلتها تحس أنها لا تحبه. قالت له:

- لابد أن أعترف أنه عالم كامل وأنيق جدا..

- ولكن ماذا هناك أيضا؟

- حسنا.. إنني أجده يشبه عالما جادا جدا.

انفجر ضاحكا. إنه لم يهتم أبدا بشقته. إنه ينام فيها وهذا كل شيء. إنها لم تكن أبدا تشعره بأنها داره.

- جاد جدا؟ الحق معك ولكني أقسم لك إنني لم أهتم أبدا بهذه الشقة ولم آخذها مأخذ الجد.

- أنا آسفة بالنسبة لمهندس الديكور.

- وكيف استطعت أن تعرفي أنني استخدمت مهندسا؟

- لأنه لا يوجد ذرة واحدة في هذه الحجرة من "ڤيك هارينجتون" الذي أعرفه.

قال يعاكسها:

- ولا ذرة واحدة؟

- لنقل إنه عدا هذه الأريكة فإن هذه الحجرة ملك شخص غريب.

رفعت رأسها وبهتت من منظر وجهه الجانبي الأرستقراطي: كان قد رفع للخلف خصلات شعره الأسود التي كانت تعود ثانية إلى جبينه كانت تعلم أنهما خلال دقائق سيستنفدان مواضيع الحديث ويستسلمان لما في رأسيهما.

قال لها "ڤيك":

- أعتقد أننا تحدثنا في الديكور بما فيه الكفاية.

كانت عيناه في سواد ليل "فيلادلفيا".

قال ونظراتها مشتبكة مع نظراته:

- أعرف يا "فيونا" أنك لا تعرفيني بما يكفي كي..

قاطعته:

- "ڤيك".. أعرف أن هناك حواجز تخص حياتك لا أعرفها على الإطلاق

وأحيانا أشعر بالرعب ولكن ما أفعله الآن رائع. إنني لا أعرف على الإطلاق كيف هبطت على حياتي ولكني واثقة من شيء وهو أن هذا يجعلني سعيدة بجنون!

أصبح "ڤيك" عاجزا عن الكلام. أخذ يصارع بكل جسده ليثبط نفسه ولكنه كان يحس أن رغبته في هذه المرأة التي قلبت حياته هي رغبة لا غنى له عنها.. إنه يحبها.

- "فيونا" أريد أن أقيم علاقة معك.

- لقد سبق لي أن أخبرتك أنني لست على استعداد للمغامرات العابرة.

قال معتذرا وهو يربت على شعرها الطويل:

- سامحيني. فلم أعد أعرف ماذا أقول. إنني أرغبك بدرجة اليأس ولكني أريد أن ترغبيني بنفس القوة.

- أنا أرغب ذلك يا "ڤيك".

www.rewity.com

الفصل التاسع

كانت غرفة "ڤيك" غارقة في الظلام ولم يفكر أي منهما في إضاءة النور، ولم يكن هناك سوى شعاع من القمر يداعب السرير العريض الذي وضع عليه "ڤيك" كونتيسته، وكان جو الليل يوحي ببعض الحان "موزارت". كانت "فيونا" متيقظة المشاعر وهي تستمتع بوجود الرجل الذي انتفض واقفا فجأة وقال هامسا:

- دعيني أتأملك لحظة.. أنت فاتنة جدا.

أصبحت "فيونا" غير قادرة على أن تقول كلمة واحدة وأوشكت أن تفقد وعيها أمام نظراته المفعمة بالحب. انتفضت جالسة بدورها ومدت يدها لتداعب وجهه ولكنه أمسك بيدها بين يديه ثم رفعها إلى فمه وقبلها. لقد كانت بالنسبة له هدية أرسلتها السماء ومعجزة يريد أن يستمتع بكل وجوهها، وكان يريد بوجه خاص أن يعجبها.

قالت له بصوت منخفض وابتسامة خفيفة:

- لماذا تعتقد أننا نهمس؟

أجابها وهو يضحك:

- لست أدري.. نحن لسنا في معبد.. ربما كان لأنني متأثر بأجمل أمينة مكتبة في العالم.

ترك يدها ثم وضع كفيه على كتفيها وألقت الشابة برأسها للخلف وأغمضت عينيها إلى النصف.

سألها:

- هل هو ممنوع؟

همست وهي تستسلم لمشاعرها:

- أتقصد أن تكون عاطفيا ومتأثرا بأمينة المكتبة؟

- أقصد أن ألمس أمينة مكتبة عاطفية..

- أعتقد أن الإنسان يكون مؤثرا في عيني من يحبه.

كان "ڤيك" متأثرا بصفاء مشاعر الشابة العاطفية وأخذ يتأملها بإمعان. لقد فتنته بملابسها الحريرية الناعمة التي تناسب نعومة بشرتها.

فكرت "فيونا" أنه لا يهم إن كانت عاطفية بعض الشيء. لقد كانت الشابة تعاني من اضطهاد رغباتها الخاصة التي جعلت الرعدة تسري في كل كيانها. بللت شفتيها ثم رفعت رأسها نحو وجه "ڤيك" الجميل وقالت هامسة:

- يا "باروني" العزيز! لم أعد أعرف بعد من أكون.. أنت توقظ المشاعر بداخلي.

رنت ضحكة "ڤيك" وسط الليل. وأجابها:

- أنا أعشق هذه المشاعر يا "فيونا"!

قالت له ونظراتها شاردة في الفراغ:

- كم أحب الطريقة التي تنطق بها اسمي. إنها أرق من مداعبة

النسيم.

أجابها وعيناه تائهتان في عينيها:

- وأنت ناعمة مثل الحرير.

لقد كانت "فيونا" تحترق بنار تعرف أن "ڤيك" وحده القادر على إطفائها.

قال بصوت هامس:

- يا كونتيستي ذات الوجه المغطى بالنمش الأحمر!

- أتعرف أنك أول رجل يعجب بهذا النمش؟

- رائع.. واتعشم أن أكون الوحيد الذي يعجب به.

أصبحت الآن واثقة من أنها ستكون محبوبة من "فيكتور هارينجتون الثالث" فهزت رأسها ورددت:

- "ڤيك" يا "باروني" الرائع..

رفعت عينيها وغرستهما في أعماق عيني "ڤيك" الحانيتين. إنهما يعلمان أن لهيب العاطفة التي اشتعلت بينهما من أيام لن تنطفئ جذوتها أبدا. كانت "فيونا" مبهورة بنظراته التي تتاملها في إمعان دقيق.

قالت له:

- كيف تستطيع أن تعيش وحيدا؟

هز "ڤيك" رأسه في أسى. إنه لم يسبق له أن أحس بالوحدة التي عاشها إلا بعد أن وجدها معه. لقد ملأت عليه حياته. لقد قضى كل أوقات وجوده في بيته في النعاس دون أن يحس بضرورة مشاركة أحد لوحدته. وقال:

- كنت أستطيع أن أعيش فيما مضى بعد أن تعودت على الوحدة أما الآن فاصبح من المستحيل أن أستمر في وحدتي. بفضلك يا صغيرتي الأيرلندية أصبحت أحس أنني شخص آخر له كيان، وأريد أن يستمر

هذا الشعور للأبد.

- نعم.. أنا أيضا أحس بالسعادة يا "ڤيك".

لقد كانت تحس معه بأنها طبيعية تماما ولا تحس بالخوف من الكشف عن عواطفها ومشاعرها وكأنهما كانا يعرف كل منهما الآخر منذ الأبد.

همست له وقد علت وجهها ابتسامة سعيدة:

- ربما كان كل منا يعرف الآخر حقا يا "باروني" العزيز..

- من يدري.. ربما في حياة أخرى أو عالم آخر؟

أغمضت عينيها وهي تستمتع بسحر اللحظة وهمست في صوت يغلب عليه الانفعال:

- كم هي رائعة هذه اللحظات يا "ڤيك"!

- وأنا كم يسعدني أن أسمعك تتحدثين بتلقائية وطبيعية يا حياتي!

إنه يحبها بعاطفة نسيها منذ زمن بعيد، وساده شعور أنه يولد من جديد بعد أن أصبح رمادا من قبل أن يجتاحه هذا الحب الجديد عليه.

- "فيونا"! لقد اشتقت إليك لدرجة رهيبة حتى دون أن أدرك ذلك..

كانت الشابة مبهورة بكلامه الصادق وأخذت السعادة تسري في كل أوصالها.

مرر أصابعه في كتلة شعرها فقالت له:

- أنا أحبك يا "ڤيك".

كان غارقا في مشاعره حتى بدت الكلمات لا لزوم لها ولا تصلح للتعبير عن عنف المشاعر التي اندفعت حارة في عروقهما. سرعان ما اخترقت نظراته أعماق أعماق ما في روحها من أسرار، وعرف كم كانت تنتظر من وقت طويل وفي لهفة أن تلتقي بالحبيب. أخذت ترتجف تحت قوة تلك النظرات وودت أن يصبحا كيانا واحدا. أغمضت الشابة عينيها واستسلمت لتلك الأحاسيس اللذيذة؛ حتى تحتفظ للأبد بذكرى

تلك اللحظات التي لم تكن تنتظرها ولا تتوقعها. إن ما يهمها الآن -أكثر من أي شيء في العالم- هي تلك اللحظات التي اكتشفت فيها ذلك العالم الذي لم يكن له وجود في حياتها من قبل.

لقد بدا العاشقان وكأنهما وصلا إلى أقصى حدود الحب.

###

عبرت "فيونا" -وهي مرتدية ثوب "ڤيك" المنزلي- الحجرة في خطوات خفيفة ومرحة وهي تتشمم في سعادة عبير وجوده الذي ملأها. أخذت تتجول -وعلى شفتيها ابتسامتها الحالمة- في الشقة وانتهى بها المطاف إلى العثور على المطبخ. سقطت أشعة الشمس على بلاط أرضية المطبخ لتزيد من جمال هدوء المكان وروعته. تساءلت وهي تفتح أحد أبواب دولاب المطبخ: "كيف يمكن أن تكون هادئة إلى هذه الدرجة؟ ألم تقض الليلة مع "ڤيك هارينجتون"؟" لا يهم أي ليلة؛ دائما هي بالنسبة لها أروع ليلة قضتها ومنحتها الحياة. كانت "فيونا" قد دهشت من شدة حبهما حتى عجزت عن العثور على النعاس.

انتهى بحث الشابة إلى العثور على غلاية قهوة وكيس من القهوة. همست لنفسها وهي تغلي الماء: أنت عاشقة يا "فينيجان"!

لم يسبق لها أبدا أن سألت نفسها من قبل عن معنى تلك الكلمة.. كلمة "عاشقة". عبرت حجرة المطبخ ومالت على النافذة. كانت المدينة قد بدأت تستيقظ. سادها للحظات شعور أن كل شيء أصبح رائعا مثل هذا الصباح، وأن حياتها بدأت لتوها. أخذت تقول لنفسها: "ربما كانت هذه هي الحقيقة".. استمعت إلى صوت غلاية الماء وكأنه لحن مرح.

كانت طوال الليل قد فهمت أنها أصبحت شخصا مختلفا.. شخص غير "فيونا فينيجان" أمينة مكتبة آل "هارينجتون"، وأن حبها لـ"ڤيك" قد أشرق وترعرع وازدهر خلال تلك الليلة المجنونة. لقد كان من الجميل والرائع أن يكونا مختلفين وأن يظلا دائما متفاهمين رغم جدران

الغموض التي لازالت تحيط بحياة "ڤيك". على أية حال هي مستعدة للانتظار حتى تستطيع أن تعرفه كلية.

ازداد صفير الغلاية المنغم ارتفاعا مما قطع عليها أحلامها وأفكارها الشاردة مع الخيال. صبت الماء المغلي المتصاعد منه البخار في قدح ثم عادت إلى الصالون الكبير وهي ترتشف في تلذذ شراب القهوة ذا المذاق الرقيق.

قامت بجولة بخطوات هادئة داخل الحجرة الفسيحة. كان ضوء الصباح الرقيق يظهر فخامة أثاث الصالون وإن كان ذا طابع غير شخصي، خاصة أن الأثاث كان يتميز بفخامة باردة. كان من الواضح أن "ڤيك" قد عمل بطريقة ما على ألا يترك أي بصمة شخصية في الديكور. لا يوجد أي لوحة أو كتب استهلكها الاستخدام عن طريق تكرار قراءتها.. لا يوجد شيء حميم وشخصي.

ربطت حزام الثوب المنزلي حول جسدها بقوة وأحست برجفة وهي تعود إلى حجرته. كان وجه "ڤيك" يسبح تحت شعاع شاحب من الشمس وهو لايزال نعسانا. قربت "فيونا" مقعدا جلست عليه لتتامله عن قرب بإمعان أكثر. كان في نعاسه يشع بعضا من أفكاره التي تسكن في روحه فتبدو في صورة ابتسامة راضية على شفتيه. تقلب في مكانه ثم فتح إحدى عينيه وهمس في تكاسل:

- صباح الخير!

- صباح الخير.

- لقد كنت أحس بأنني مت وانتقلت إلى الفردوس.

- وأنا كذلك.. هل تريد بعضا من الشاي؟

قال لها وقد فتح عينيه على آخرهما:

- لا.. أريد أن أراك أنت فقط.

ابتسمت عندما رأت شعره أشعث وكأنه خرج لتوه من شجار عنيف.

قالت له:

- إنه الصباح يا "ڤيك".. ألا تريد أن تأكل شيئا.. إنني أكاد أموت جوعا..

قال وهو شارد الذهن:

- أكل؟

همست وهي تشعر بموجة من الحرارة تسري في جسدها فتدهشها:

- نعم.. تتغذى!

- دعيني أولا أتأكد من وجودك فعلا أمامي. هل أنت فعلا موجودة؟

- أرجوك أن تسامحني يا "ڤيك"؛ لأنني أفسدت الليلة وأضعتها في الكلام ولكن..

- لقد كانت ليلة رائعة يا "فيونا".. إنها أروع مما كنت أتصور.

كانت وفرة المشاعر المتصارعة داخل صدر الشابة -في عنف وتضارب- قد أحدثت فوضى لا توصف في عقلها. أحست بطوفان من الدموع يغزو عينيها. لماذا تبكي في لحظة سعادة عارمة كهذه؟

أخذ يداعب وجهها الجميل بأصابعه في حنان وقال بانفاس لاهثة:

- أنا لم أكن أنتظر كل هذا.

- ولا أنا.. فمن النادر أن يقضي البارونات لياليهم مع فئران المكاتب.

- يا للخسارة.. مع أن الانسجام شديد بينهما.

- ربما كان من الضروري أن نوضح ذلك للجميع.. حتى يستفيدوا من ذلك الانسجام.

- ولكني أناني جدا في هذه الناحية يا "فيونا"، ولا يهمني سوى مصيرنا. هل تعرفين؟.. أنت ملأت فراغا رهيبا في حياتي.. فراغ كنت أظن أنه سيصبح أبديا.

سألته وهي تزن كل كلمة من كلماته:

- فراغ من أي نوع؟

- لقد سبق أن كنت متزوجا يا "فيونا" بامرأة رائعة، وقد قُتلت في حادث سيارة، وكانت تدعى "آن ميلروز".

كان يتحدث بلهجة حزينة. سكت ليتيح للشابة أن تدرك مدى أهمية ما يقوله. ندم للحظات؛ لأنه كشف لها عن مأساة حياته الكبرى.

أخذ قلب "فيونا" يدق لدرجة الانفجار. قالت له بصوت مضطرب:

- "ميلروز"!

- لقد كانت ابنة "ستان" و"أبي".

- هل كنت تحبها كثيرا؟

أجابها وهو مندهش لأنه تحدث لأول مرة عن حبه الأول:

- نعم.. لقد كانت حبي الأول.

في الحقيقة انقلبت الأمور مع "فيونا" وبدأت تحس بالذنب بلا سبب ظاهر.

- لقد أحببتني بلا حدود ولا مثيل.. وعندما ماتت انتزعت جزءا مني معها، وظننت أنني لن أصبح قادرا بعدها على الحب.

همهمت "فيونا" وهي تتذكر أمورا لم تكن تفهمها مثل: الشحوب الغريب الذي كسى وجه "ڤيك" أثناء رحلة "أرشي".

تابع حديثه بنفس اللهجة الحزينة:

- بعدها وحتى أحمي نفسي انطلقت في حياة العمل المحموم الذي كانت تتخلله حفلات كل منها أتفه من الأخرى. لقد كان ذلك هروبا غريبا وغير معقول.. لم أكن أحب ذلك ولكنه كان أمرا حيويا لاستمراري في الحياة.

لقد اجتاحته رغبة عارمة أن يحبها أكثر وبطريقة وحشية حتى يمحي من ذهنه الذكريات الحزينة ولكنه لم يستطع أن ينسى. لقد كانت عواطفه نحوها مهمة جدا. بحركة عنيفة ألقى بالأغطية من فوق السرير ونهض وهو يغمغم:

- هذا صحيح.. لابد أن نأكل شيئا.

جلست "فيونا" على حافة السرير وهي فريسة للعديد من التساؤلات وراقبته وهو يبتعد. إن فكرة أنه تعذب كل هذا العذاب كانت لا تطاق وتوازي في عذابها علمها بأنه كان يحب امرأة أخرى. نهضت لتأخذ دشا وعندما ظهرت مرة أخرى في المطبخ وهي منتعشة في ثوبها المنزلي الأصفر الرائع وجدت "ڤيك" يقوم بإعداد الإفطار وقد ارتدى البنطلون الجينز والبلوڤر الكشمير. بدا عليه أنه يصارع كومة من خبز التوست الذي نضج أكثر من اللازم وبيضتين مصابتين بالأنيميا.

قالت تعاكسه:

- هذه أول مرة أراك بالجينز.

كانت تعبر الحجرة عارية القدمين. أضافت وهي تلمس شعره بأطراف أصابعها:

- إنك شديد الجاذبية والسحر.

- احذري يا كونتيسة.. أنت لا تعرفين أين تضعين يديك.

قالت له وهي تلف ذراعها حول وسطه القوي:

- متى ينتهي بك الأمر وتفهم أنني لست كونتيسة؟ ليس بي ما هو فاتن أو ساحر لهذه الدرجة. ربما مجرد سحر آل "فينيجان" لا أكثر.

فكرت لحظات في المرأة التي كانت "آن ميلروز". إن أمها كانت شديدة الأناقة عندما رأتها.

سألها "ڤيك" وهو يميل هامسا في أذنيها:

- وهل يمكنني أن أعرف ما هو سحر "فينيجان" هذا؟

- حسب أقوال أبي،و إنه يؤثر عندما تكون المرأة على يديها بعض الشحم والنظرة الماكرة في عينيها.

كان "ڤيك" فعلا مسحورا بتلك النظرة الماكرة التي تحدثت عنها "فيونا" وكان يصارع نفسه حتى لا يندفع وراء عواطفه.

قال لها أخيرا:

- كلي يا "فيونا" وإلا فلست مسؤولا عن نفسي.

جلس الاثنان يعذبهما حبهما الوليد وظل "آن ميلروز" أمام المائدة كل منهما في مواجهة الآخر.

قالت له وهي تحاول أن تجبر نفسها على الأكل:

- إنه رائع يا "ڤيك".. كم مضى من الوقت على وفاتها؟

- أربع سنوات.

همست في رقة:

- هذا وقت طويل.

قال وهو يربت على يدها فوق المائدة:

- من الصعب شرح ذلك إن حياتينا مختلفتان.. عائلتك..

- عائلتي؟

- الطريقة الطبيعية السهلة التي ينتشر بها الحب بين أفراد الأسرة دون حساب. لقد كانت طفولتي مختلفة جدا. إنني عمليا لم أتصل بوالدي، ولم يكن لديّ سوى "آن" لأشاركها خصوصيتي. لقد كنا متقاربين جدا..

قالت ببساطة وهي تضغط أصابعها بقوة على أصابعه:

- إنني متفهمة لذلك.

أحست الآن أنها رفعت هما كبيرا جدا عن حياة "ڤيك". بالتأكيد كل شيء لم يكن قد حل ولكنها كانت تعلم الآن أن تحت قناع "البارون" الذي لا يمكن اختراقه يختفي رجل عذبته الحياة لدرجة الاستشهاد. كان "ڤيك" يراقبها. لم يكن واثقا من قدرته على قراءة أفكارها.. لماذا هو عاجز عن نزع "فيونا" من حياته المستقبلية؟

همست:

- "ڤيك"؟

- أنا موجود هنا.

- إن أمامي ساعة ونصف قبل أن انضم لوالدي في الكنيسة.

قال بصوت ساهم:

- ساعة ونصف؟

- نعم.. وهذا يتيح لنا الوقت لترتيب كل شيء.

فجأة أحس بالاضطراب من قرب الشابة منه فوافقها على كلامها دون أي رد فعل. دارت "فيونا" حول المائدة وجلست بجواره وقالت:

- مالم تقم بإعداد وجبة أخرى من البيض.

- أو ربما نفعل شيئا آخر.

- أن نشاهد شريط فيديو.

أخذ يهمهم وهو لايزال شاردا. صاحت متصنعة الغضب:

- "فيك هارينجتون الثالث"! أين ذهب عقلك؟

- هل تحبين أن نبحث عنه معا؟

- ليس أمامنا سوى ساعة ونصف فقط.

- بل ساعة وخمس وعشرون دقيقة لا غير.

الفصل العاشر

لم يعد "فيك" قادرا على تحمل غياب "فيونا"؛ أخذ يتقلب في فراشه مرات ومرات. نهض فجأة واندفع بخطوات سريعة إلى المطبخ حيث تجرع قدحا كبيرا من القهوة الملتهبة لدرجة الغليان. إنه يريد "فيونا فينيجان" بجواره يداعبها ويغرق وجهه في شعرها الطويل. إنه يحبها وهذا أمر مؤكد، وعينا الشابة الزمرديتان تقولان الكثير حول الحب الذي تشعر به هي نحوه. ذهب ليفتح باب الشرفة الزجاجي وخطا بضع خطوات إلي داخلها حتى يستطيع أن يتنفس بحرية. كان من مكانه المرتفع في الطابق الأخير يستطيع أن يرى المرور الكثيف الذي يمكن في ساعات معينة أن يشل حركة المرور في "فيلادلفيا". أغمض "فيك" عينيه فترة وكأنه يحاول أن يكتم الهمس الذي كان يصرخ بداخله قائلا له: إن المرء لا يمكن أن يحب وأن يحب دون أن يكشف كل ما في نفسه تماما. هز رأسه بعنف وعاد إلى داخل الشقة. لابد أن يفكر أولا في كل ذلك. ثم

angelos Darkserenity.com

سيحدثها فيما بعد... ربما في الغد.

###

همس "ڤيك" في أذن "فيونا" عندما ذهب ليصحبها بعد الظهر:

- أنت فاتنة باستمرار.

- إن "روزماري" تحب أن تقابلنا.. لقد دعتنا معا على الغداء.

- وأين هذا؟

- عند آل "فينيجان".

- عند والديك؟

- بالتأكيد.. فمن الحمق دفع ثمن طعام بالمطاعم في الوقت الذي يمكن أن نحصل عليه مجانا، ثم إن أمي بدأت تحس بالإحباط الشديد؛ لأنها لم تقابل بعد الرجل الرائع الذي يتحدث عنه الجميع بلا انقطاع.

حدجها "ڤيك" بطرف عينه.. إنه لا يهمه أين سيذهب ليتناول الغداء وإنما المهم عنده هو أن يكون معها.

قالت له معترفة:

- هل تعلم أنني بدأت أجد صعوبة في التركيز في عملي بالمكتبة؟

همس في صوت شارد وهو معجب بجمالها:

- كيف؟

كررت عليه:

- عملي! إنك بدأت تصبح معوقا لعملي.

قال لها وهو يربت على شعرها:

- أوه.. وماذا سنفعل في ذلك؟

- لست أدري.. إنني لا أمر على إحدى روايات الكاتب الفرنسي العاطفي "بلزاك" إلا وتصيبني الرعدة.

قال مازحا وهو يحيط كتفيها بذراعه القوية:

- يبدو لي أن الأمر خطير، وأعتقد أن عليّ أن أختبئ في المكتبة لأحل

مشاكلك في الوقت المطلوب.

- إن الفكرة مثيرة للاهتمام.

بدأ يدلك عنقها وسألها:

- وما رأيك في هذا؟

صاحت متصنعة الشعور بالخجل:

- "ڤيك"! إن كل الناس سيعرفون حالا أن "فيونا فينيجان" مرهقة ويدلك رقبتها رجل شعره بلون الأبنوس.

ظلا ينظران أحدهما للآخر في مرح وهما يواصلان طريقهما، ثم غادرا الطريق الرئيسي ليدخلا في حارة مزدحمة -على جانبيها- بالمنازل البيضاء وكل منها لها شرفة واسعة تعد فخرا ومتعة لأصحابها.

قال "ڤيك":

- في يوم ما سيكون لي شرفة مثل هذه.

صاحت "فيونا" مسرورة من فكرة أن رجلا في مثل ثرائه يرغب في شيء يمثل الطبقة الوسطى.

- شرفة؟ في رأيي الشخصي: إنك ستجد صعوبة بالغة في أن تركبها في ناطحة سحابك.

همهم وهو شارد:

- ربما لا أريد أن أقضي فيها بقية حياتي.

- لماذا تريد الحصول على شرفة بهذه الدرجة؟

- لست أدري. ربما لأنها المكان الذي يمكن فيه الجلوس والمناقشة والضحك، ولست أدري لماذا هذه الصورة لازالت محفورة في رأسي منذ طفولتي.

قالت وهي تمسك بيده لتسحبه نحو بيت صغير:

- ربما كان ذلك يشبه المزرعة المحاطة بالكروم.

www.elwatly.com

انفتح الباب على مصراعيه حتى قبل أن يصلا إلى آخر درجة. صاحت امرأة ضئيلة عند عتبة الباب وكانت عيناها حادتين مثل "فيونا":

- صباح الخير.. لابد أنك "ڤيك".

همس الأخير:

- صباح الخير يا سيدة "فينيجان".

ردت المرأة في الحال قبل أن تسرع باحتضان ابنتها:

- "جين" نادني "جين" من فضلك.

أخذ "ڤيك" ينتهز فرصة هذا العناق الطويل ليبحث عن أوجه التشابه بين المرأة وابنتها، وفي الحقيقة كان التشابه بينهما قليلا رغم أنه من الواضح أن السيدة "فينيجان" كانت في يوم من الأيام شابة جميلة.

قالت السيدة وهي تمسح يديها في مريلتها:

- إن "توني" و"روزماري" يقومان الآن بخلط الحساء.

تبعاها في دهليز ضيق يؤدي إلى مطبخ ضخم.

صاحت "روزماري" وهي تلمحهما:

- مرحبا.. تصرفا وكأنكما في بيتكما.

قالت "فيونا" في تهكم:

- شكرا يا "روزماري".. هل أنت واثقة من أننا لا نزعجك؟

عبرت الشابة ومعها "ڤيك" الحجرة ليجلسا في استرخاء وراحة على أريكة قديمة، وفي مواجهتهما مدفأة عريضة محاطة على جانبيها بمقعدين عتيقين وخلفهما جلست "روزماري" وزوجها يعدان الحساء.

قال "ڤيك" لابن أختها:

- مرحبا يا "توني".. يبدو أننا لن نكف عن اللقاء.

فوجئت "فيونا" بلهجة "ڤيك" الودية الحارة فأخذت تحدق فيه غير مصدقة. لقد ظهر "ڤيك" أكثر ارتياحا عن المرات السابقة وهذا جعلها سعيدة بلا حدود.

رد عليه "توني" كلمة بكلمة:

- لقد كنت أعرف أنك ستأتي. ثم إن جدتي في حاجة إليّ.

انفجر الجميع ضاحكين من كلام الصبي. ردت عليه "جين فينيجان":

- إنه لا يذهب كثيرا إلى المدرسة.. فهو يفضل أن يتذوق أطباقي الأيرلندية.

ابتسم "توني" ابتسامة عريضة وترك عمله المزعوم واقترب من "ڤيك". قالت الجدة:

- على أية حال فقد أحبك يا "ڤيك".

رد "ڤيك" بابتسامة واسعة ثم بدأ يربت على رأس الصبي الصغير. أخرجت "فيونا" وأمها الأطباق والسلطانيات ونشطتا في العمل وهما تضحكان حول المائدة. حاول "ڤيك" أن يستشف أفكارهما وأخذ يتأمل الأم وابنتها فترة طويلة.

قالت الأم في نهاية المطبخ فجأة:

- اعلم يا "ڤيك" أن "فيونا" هي أول أطفالنا وكان أبوها فخورا بها جدا لدرجة أنه كان يطوف بها في كل مكان.

تأثر "ڤيك" من بساطة المرأة الشديدة وطريقتها الطبيعية للتعبير عن حبها لابنتها، وتساءل لحظة في نفسه عم إذا كان في يوم من الأيام سيقدر على السلوك بنفس المسلك مع أبنائه.

أثناء الغداء أمتعتهم "روزماري" بالحكايات الطريفة والمسلية، وعندما أدركت "فيونا" أن "ڤيك" مستمتع استخدمت كل روحها المرحة.

غادرا البيت بعد قليل من تناول الغداء ولما كانا يرغبان في تأخير فراقهما قدر المستطاع فقد سارا ببطء إلى المكان الذي صف فيه سيارته الـ"بورش".

همست "فيونا":

- إنني أشعر وكأنني طفلة أمامها واجب منزلي كامل تفضل لو ذهبت تتمشى بدلا من عمله. إنني لا أفكر إلا في أن أكون معك، وأقضي الساعات الطويلة وأنا أسترجع اللحظات التي قضيناها معا. كم أود لو استطعت أن أجعل الزمن يتوقف.

- لا يمكن أن يحدث مثل هذا الذي تقولينه يا "فيونا". لا فائدة من تأخير الزمن والأفضل التركيز على المستقبل.

همست الشابة:

- كم أحب أن أسمعك وأنت تقول هذا.

فضّل "ڤيك" ألا يرد على تعليقها وإنما ربت على خدها في حنان.. إنه يعشق أن يحس بها بجواره تكاد تلتصق به. تساءل: هل يمكن في يوم من الأيام أن يفقدها؟ إنه لن يشفى من ذلك أبدا لو حدث.

قالت له:

- أنت قوي جدا بالنسبة لي يا "ڤيك".

- لا تخافي مني يا حبيبتي فإنني لن أسبب لك أي أذى على الإطلاق.

- أعرف ذلك. ولكن لديّ إحساس بأن قوتك هذه لها معنى خاص.

- ربما كنت على حق.

سالته وهي تقف عند ناصية الشارع الرئيسي:

- خبرني يا "ڤيك" ماذا هناك؟

تردد في أن يفتح لها قلبه ويبوح بمكنوناته. إنه لم يسبق له أن نطق بتلك الكلمات. أخيرا قرر أن يقولها:

- "فيونا".. أنا أحبك. ليس لي الحق في حبك ولكني أحبك.

قالت الشابة محتجة وهي تشد جسدها فوق الأرض وتنظر في أعماق عينيه:

- هل تعتقد إذن أن عليك أن تدفع حقوق الحب؟ أنا أيضا أحبك.

سارا حتى سيارتيهما ثم افترقا ليعود كل منهما إلى عالمه المختلف عن عالم الآخر.

لقد تصارحا بحبهما.. فماذا بعد؟

جلست "فيونا" خلف عجلة قيادة سيارتها الـ"فولكس" وتأملت "ڤيك" وهو يرحل يوجد بينهما -من الآن فصاعدا- حضور غير مرئي لا تدري هي مدى قوته.

اتصل بها في اليوم التالي في بداية فترة بعد الظهر وهمس عبر

أسلاك التليفون بصوت مرهق:

- إنه أنا "ڤيك". أنا آسف ولكني لن أستطيع العشاء معك هذا المساء.

- حسنا.. لا بأس يا "ڤيك".

- أنا آسف لأنني أتحرق شوقا لرؤيتك ولكن..

- أنا فاهمة.. وساشتاق إليك.

تشتاق إليه؟ إن هذه الكلمات تؤجج نارا في جسد "ڤيك".. إنه يتعذب من عدم قربه منها أو التمتع بالحديث معها. لقد أعطت الحياة مرة ثانية إلى جزء من كيانه اعتقد أنه مات ولكنه في حاجة دائمة إلى وجودها لتغذي هذا الجزء حتى لا يموت مرة ثانية.

قال وهو يركز على كلامه قبل أن يضع السماعة:

- سأراك غدا.. أنا أحبك.

نظر إلى ساعة يده. ليس أمامه سوى نهار واحد حتى يعيد ترتيب حياته. بعد ساعة سيكون منطلقا بالسيارة على الطريق السريع المؤدي إلى أملاك آل "ميلروز". كانت السماء تداعب الريف بصبغة بنفسجية رقيقة. ساده إحساس للحظات أنه يرى فيها بريق عيني "فيونا". لقد كانت أملاك "ميلروز" ضخمة وتذكره بوضوح بالنزهات الطويلة التي قام بها مع "آن" باقدام حافية داخل الغابة. لا شك أن "آن" الآن في مثواها الأخير تتمنى له أن يعثر على الحب، وهو واثق من ذلك، وهو كان سيحب "فيونا" رغم هذه الجبهة الخفية التي تفصل بين عالميهما. إنها لم تكن في جميع الأحوال ستتمنى الحياة التي عاشها منذ سنوات أربع طوال.

وصل بسرعة إلى البوابة الكبرى الحديدية لأملاك "ميلروز" وصف سيارته أمام المبنى المهيب. صعد الدرجات القليلة التي تفصله عن البهو الفسيح ووجد "ستان ميلروز" في المكتبة الذي صاح:

- "ڤيك" كم أنا سعيد برؤيتك! لقد وصلت مبكرا عن عادتك وهذا رائع. نحن سعداء لرؤيتك. تأتي هنا كثيرا في هذه الأيام.. إن "آبي" ترتاح في الصالون الوردي أسفل.

- هل هي مريضة؟

- للأسف.. إنه حكم السن الذي يطاردنا .

صحبه "ستان" نحو الصالون الصغير حيث تحب زوجته أن تستريح فيه. صاحت "آبي" وقد لمعت عيناها من الفرحة عندما رأتهما يقبلان نحوها:

- "ڤيك"!

قَبلها "ڤيك" بحرارة وقالت له:

- قبل كل شيء.. أريد أن أتفق معك على موعد.

- من أجل ماذا؟

- أريد أن تاتي لزيارتنا أنت و"فيونا".. إنني متمسكة بذلك تماما.

سالها "ڤيك" وهو يجلس بجوارها على الأريكة الصغيرة:

- أحقا ما تقولين!

- نعم يا "ڤيك".

- أنت تعرفين عواطفي نحو "فيونا" وأنا سعيد بدعوتك هذه.

- لقد أحببناها كثيرا وهي بسيطة للغاية وطبيعية ثم إنها تحبك وهذا واضح.

رسم "ڤيك" ابتسامة على وجهه وأضافت "آبي" وهي تحس بغصة في حلقها من الانفعال :

- وانت تحبها أيضا.

أجابها "ڤيك":

- سأتي لزيارتكما يوم عطلة نهاية الأسبوع القادم .

جذب انتباههما فجاة صوت خطوات. ظهرت امراة ضخمة في فتحة الباب وقد ارتدت بلوزة رمادية.

قالت "آبي" مازحة:

- أنت دائما دقيقة في مواعيدك يا سيدة "جنكيز".

وخلفها استطاعا أن يريا فتاة صغيرة ذات شعر طويل أسود وقد ارتدت ملابس جميلة وهي تتقدم في خجل داخل الحجرة.

همس "ڤيك":

- "تينا"!

قبل أن ينهض "ڤيك" كانت الطفلة قد اقتربت منه في أدب. وضعها فوق حجره وقالت:

- مرحبا يا أبي.

angelos www.rewity.com

الفصل الحادي عشر

همس "ڤيك":

- يومك سعيد يا "تينا".

قالت "آبي":

- إن الجو رائع يا "تينا". ماذا تريدين أن تعملي مع والدك؟

أجابت الصغيرة بابتسامة خجول وقد اتسعت عيناها السوداوان اللتان تشبهان عيني والدها:

- أركب الحصان.

كان نقص الصلة بين الطفلة ووالدها واضحا وكان دائما موضوعا محزنا بالنسبة لـ"آبي". لقد كانت "تينا" في حاجة ماسة إلى أب! ولحسن الحظ في الوقت الحالي يبدو أنه أظهر اهتماما أكبر بابنته وأحيانا كان يطيل الزيارة.

سأل "ڤيك":

- هل يمكنني أن أصحبها بمفردي؟

صاح "ستان" في دهشة:

- بالتأكيد.

تأمل "ڤيك" -بعض الوقت- ابنته.. هل يمكن أن تضحك بصخب مثل "توني" والأطفال الآخرين المحيطين بـ"فيونا"؟ ربما عندما لا تكون هنا.. قال لها:

- هل أنت مستعدة؟

همهمت وهي تمسك بيده في خجل:

- نعم.

بعد بضع ساعات علق "ڤيك" لآخر مرة على جمال غروب الشمس. جلس آل "ميلروز" أمام مائدة فخمة. اقترح "ڤيك" عليهم أن يأتي في مساء اليوم التالي مع "فيونا" بدلا من الانتظار أسبوعا كاملا. سعد الزوجان "ميلروز" من هذه الفكرة وأنهوا جميعا الوجبة في مرح ثم صحبا "ڤيك" حتى سيارته.

غرق "ڤيك" في أفكاره وهو في طريق العودة. إنه خائف جدا من أن يفقد "فيونا".. وكيف يحدث ذلك؟ وهي المحاطة بالحب هل ستتحمل فكرة أنه ترك ابنته وأهملها بهذه الطريقة؟ لابد أن تشكل "تينا" جزءا من حياته مرة ثانية حتى تعيش معه حب الشابة.. غدا كل شيء سيتم ترتيبه.

###

جلس رجل متوسط العمر على ركن مكتب "ڤيك" وواجهه قائلا في إصرار:

- الأمر مهم يا "ڤيك". لابد أن تحضر المفاوضات.

همهم "ڤيك":

- أعرف ذلك يا "چورچ".

- لا تقلق. على أية حال، مهما كانت الحسناء الجديدة فهي تعرف كيف تنتظر.

هز "ڤيك" رأسه موافقا وهو شارد الذهن ثم تناول التليفون وطلب "فيونا". حاولت الشابة بطريقة أو أخرى أن تخفي خيبة أملها. همس

www.rewity.com

قبل أن يضع السماعة:

- أنا أحبك يا "فيونا".

أجابته وقد مطت شفتيها:

- سأخبر "أبي" بنفسي.

- لابد أن أرحل يا "فيونا".

وضعت السماعة وبدأت تدير رقم تليفون منزل "ميلروز". أجابتها إحدى الخادمات لأنهما غير موجودين. قالت لها "فيونا" في أدب:

- الأمر ليس خطيرا.. أرجوك -ببساطة- أن تخبريهما أن "ڤيك" و"فيونا" لن يستطيعا...

توقفت وسط العبارة ثم نزل عليها الإلهام وقررت أن تحضر بمفردها عند بيت "ميلروز". على أية حال فإن المناقشة مع أصدقائه هي أفضل وسيلة لمعرفة شخصية "ڤيك" أفضل.. ثم إن "أبي" شديدة الحفاوة.

استعجلتها الخادمة:

- سيدتي؟

- نعم.. أرجو أن تعذريني.. قولي لهما ببساطة إن واحدا من الشخصين اللذين ينتظرانهما الليلة لن يستطيع الحضور. وشكرا.

###

فيما بعد وقرب انتهاء فترة بعد الظهر ركبت "فيونا" سيارتها الـ"فولكس" متجهة إلى أملاك "ميلروز". كان الطريق يخترق مجموعة من الأشجار السامقة ذات الألوان الذهبية الداكنة. كان المشهد فخما. تساءلت الشابة: لو أن كل منحنى في الطريق وكل شجرة تذكر "ڤيك" بوجه أول امرأة في حياته وذهبت إلى غير رجعة...! إنها لا تحس بأي غيرة نحو "آن ميلروز" وإنما ما يتملكها هو في الأحرى فضول. كان الليل قد هبط عندما وصلت الضيعة، وكان "ستان ميلروز" في انتظارها على العتبة.

صاح وقد وضح أنه دهش:

- "فيونا"! هل استطعت إذن الحضور؟ لقد ظننا أن "ڤيك" هو الذي

سيحضر بمفرده. على أية حال حضورك رائع!

قالت "فيونا" وقد احمر وجهها خجلا وهي تهبط من سيارتها:

- أنا آسفة يا "ستان".

اقتربت "أبي" منهما وقالت:

- مرحبا يا "فيونا"! أين "ڤيك"؟

أجابتها "فيونا" قائلة:

- أنا آسفة يا "أبي". فالغلطة غلطتي. لقد اضطر "ڤيك" للرحيل إلى "شيكاغو" وقد انتابتني رغبة في الحضور بمفردي لأقابلكما وأتعشم ألا يسبب ذلك أي مشكلة لكما.

صاحت "أبي":

- بالتأكيد لا..! هذه فرصة ممتازة كي نتعارف أفضل. تعالي إذن لنجلس في الصالون.

همت "فيونا" أن تتبعها عندما لمحت بنتا صغيرة ساحرة كانت تراقبها من أعلى الدرج. اقتربت الشابة منها بالغريزة لتأخذها بين ذراعيها. كان للصغيرة عينان رائعتان سوداوان ذكرتها بشخص ما في طفولتها كانت تعرفه.

قال "ستان ميلروز":

- إن لدينا صديقة تقدمها لك يا "تينا": "فيونا فينيجان". "فيونا" أقدم لك "تينا".

همست الشابة:

- مساء الخير يا "تينا".. اتعرفين أن لك اسما جميلا جدا؟

أجابتها الطفلة بابتسامة.

سألتها "فيونا":

- هل تسكنين هنا؟

همست الطفلة بصوت غير ثابت:

- هنا؟ إنه بيتي.

دهشت الشابة ونظرت إلى الزوجين "ميلروز" متسائلة:

- هنا؟

قالت "أبي" في رقة بعد أن اختفت ابتسامتها:

- إن "تينا" حفيدتنا. لقد ظننا أن "ڤيك" حدثك عنها.

رددت "فيونا" كلمة "حفيدة" عدة مرات وهي تنظر مرات عدة بين "تينا" والزوجين.

أجابت "آبي" وقد شحب وجهها فجاة بشدة:

- نعم.. إن "تينا" ابنة "ڤيك".

لم تنطق "فيونا" بكلمة وهي تدعهم يصحبونها إلى الصالون. جلست البنت الصغيرة بجوارها؛ دق قلب الشابة لدرجة التحطيم. كانت ضائعة وتائهة بسبب كل ما حدث لها من دقائق. كيف تجرأ "ڤيك" أن يخفي عنها وجود هذه الطفلة الساحرة؟ ثم أليست "تينا" تشكل جزءا من حياته؟ لقد بدأت تشك في ذلك. كتمت دموعها وحاولت أن تهتم بالجسم الرقيق الذي التصق بها.

سألتها:

- ما عمرك؟

- أربع سنوات.

أربع سنوات! لقد ولدت قبل وفاة أمها مباشرة.

استطاعت أن تقول بلهجة مرحة مصطنعة:

- هل تعرفين أن لديّ ابن أخت وابنة أخت في سنك بالضبط؟ وأنا واثقة من أنهما سيسعدان جدا بمعرفتك.

سألتها الصبية الصغيرة وقد اتسعت عيناها:

- هل يحبان الجياد؟

أجابت الشابة وهي تربت على شعرها:

- بالتاكيد.

سألت "تينا" جدتها:

- وهل سيأتيان لرؤيتي؟

أجابتها "آبي" وقد بدا عليها الإعياء:

- ربما.. وسنرى ذلك يا عزيزتي.

دار العشاء في جو حزين رغم جهود الزوجين "ميلروز" اليائسة. تحدثا كثيرا عن "تينا" حيث تقوم مربية بتربيتها وقد عاشت كل حياتها معهما. فهمت "فيونا" بسرعة أن "ڤيك" يعتبر غريبا بالنسبة لها وهو ما

جعلها تشعر بعذاب مؤلم. همست "تينا" بعد أن انتهت من حلواها:

- أريد أن أريك حصاني يا "فيونا".

سألت "فيونا" الزوجين بنظرها. وجدت أنهما يريدان أن ينفردا أحدهما بالآخر لبضع لحظات فقبلت اقتراح الطفلة وتبعتها إلى الإسطبل. بعد ذلك بفترة وضعت قبلة على خدي الطفلة الشاحبين وحيت بسرعة الزوجين "ميلروز" ثم اختفت وسط ظلام الليل. وراء عجلة قيادة سيارتها سارت بضع كيلومترات ثم انهارت باكية. وقفت على جانب الطريق. أخذت دموعها تحفر خطوطا على خديها لمدة طويلة وقد تشوهت ملامحها من الألم. انتهى بها المطاف أن تجد القوة لتستأنف السير ووصلت بعد ساعة إلى شقتها. كانت "روزماري" هناك فوق الأريكة تشاهد التليفزيون. صاحت:

- ما الذي حدث لك يا "فيونا"؟

أسرعت الشابة بإلقاء نفسها بين ذراعي صديقتها وأطلقت العنان لحزنها واستطاعت أن تحكي لها عن كل شيء. ولكن ماذا تستطيع "روزماري" أن تقوله وهي مثلها تربت على الحب الأسري بواسطة والدين لم يكونا يطيقان الافتراق أكثر من يوم عن أولادهما؟!

همهمت "فيونا":

- كيف أمكنني أن أحبه؟ كيف أمكنني أن أحب رجلا هجر طفلته؟

قالت "روزماري" في حذر وحرص:

- اسمعي! يجب أن تستريحي وأن تأخذي وقتك الكافي في التفكير في كل هذا. أعرف إلى أي درجة أنت تحبين الأطفال وأن "ڤيك" لم يكن من الواجب عليه أن يخفي عنك وجود ابنته ولكن كل هذا لا يمكن أن يمحو ببساطة الحب الذي تحملينه نحوه.

بعد هذه الكلمات احتضنت صديقتها المرهقة. كانت "فيونا" قد أغمضت عينيها ولكن دموعا جديدة بللت وجهها.

الفصل الثاني عشر

تلقى "ڤيك" فور عودته من "شيكاغو" مكالمة تليفونية من "آبي ميلروز" وقالت له محتجة:

- إنها لا تعرف "تينا" يا "ڤيك". كيف لم تستطع أن تحدثها عن ابنتك وفلذة كبدك؟

فهم في الحال لماذا لم يستطع الوصول إلى "فيونا" طوال اليومين الأخيرين. لقد كتم موضوع وجود ابنته، لأنه كان يشعر بالعار.. العار من أن يصارحها أنه هجر ابنته "تينا" وهي في سن أسبوعين وأنه ظل بعيدا عنها سنة كاملة.. إن "فيونا" لن تفهم ذلك أبدا.

همهم في السماعة:

- لقد ارتكبت غلطة جسيمة يا "آبي".. أين هي "فيونا"؟

في أي مكان كان يحاول اللحاق بها كان يأتيه الرد المؤدب بأنها غير موجودة، واقترح عليه والدها: "جو فينيجان" نفسه أن يصبر بعض الأيام قبل أن يحاول مقابلتها.

قال "جو" لابنته بعد أن وضع سماعة التليفون:

- يا عزيزتي.. لن ينفعك أن تهربي من المشاكل لابد أن تقابليه.

- الأمر لا يتعلق بمشكلة يا أبي.. لقد انتهى كل شيء بيننا.

- ماذا يعني هذا إذا أحببت شخصا بكل قواك؟

- ولكن من هو ذلك الذي أحبه؟ إنني لا أعرفه..

- كل ما أريد أن أقوله يا ابنتي: إنه قد يساعدك أن تعلمي أنه ربما لاقى "ڤيك" في حياته لحظات صعبة ولكنه ليس فتى سيئا.

- الحق معك يا أبي. إنني لن أبدأ الآن في الهروب من المشاكل ويجب أن أذهب لأقابله.

- هكذا أعرف ابنتي!

حتى لا تقع الشابة في فخ الأماكن المليئة بالذكريات فضلت مقابلة "ڤيك" في مكتبه. عبرت البهو الزجاجي الكبير بخطوات ثابتة وتوغلت في بنك "هارينجتون". لحظات وأحست برغبة في الهرب والنكوص عن مقابلته ثم استجمعت شجاعتها واتصلت بسكرتيرة "ڤيك"، وبعد ثوان كانت جالسة أمام "ڤيك" المنهار على مقعد ذي مساند من الجلد الطبيعي يصارع رغبته في أن يأخذها بين ذراعيه.

همس أخيرا بصوت أجش مقاطعا سيل توبيخها:

- أنا آسف يا "فيونا".

رفعت الشابة وجهها ونظرت إليه بإمعان: إنه لم يتغير.. إنه هو "ڤيك" بعينيه الواسعتين السوداوين وشعره المنكوش وإن كان "ڤيك" المرهق المتعب.. خلعت نظارتها الطبية ووضعتها في حقيبة يدها. قال مقترحا:

- هل تحبين أن نتمشى خطوات في الحديقة؟

قبلت اقتراحه. كانت رياح خفيفة بالخارج قد دفعت كتل السحب بعيدا من فوق المدينة.

قالت له وهو يصحبها إلى الأشجار السامقة:

- هنا أفضل.

سارا معا بضع ثوان في صمت. قال أخيرا:

- أنا أحبك يا "فيونا" واعرف أنه رغم كل ما حدث أنت تحبينني. الا

تعتقدين اننا في حاجة لأن نتحدث معا؟

- لست أدري إلى أين وصل حبي يا "ڤيك". إنني لا أحب سوى جزء منك أما الباقي فلا أعرفه.

- لا أفهم ماذا تودين أن تقولي.. لابد أنك اضطربت من وجود "تينا".

- إنها لطيفة وحبوبة يا "ڤيك".. كيف استطعت..؟

- إنني لن أحاول الإنكار يا "فيونا".. إنني أرى في عينيك شيئا ما من عدم التسامح..

- نعم.

- عندما ولدت "تينا" كنت في حالة لا تجعلني أصلح أبا ولم أكن أحس بالحب لهذه الطفلة. كنت كقوقعة فارغة.. لقد كانت ستها أسبوعا عندما ماتت "آن".

- ولهذا السبب رحلت! لقد تخليت عن كل مسؤولياتك كأب إلى شخصين مسنين!

- لقد قاما بالمهمة.

- عثرا لها على مربية! ولأنهما لم يكن أمامهما خيار يا "ڤيك". هل تدرك أنك أعطيت لابنتك نفس التربية الحزينة التي أعطاها لك والداك؟ سلسلة من المربيات وليس والدان يحبانها.. والنتيجة أن "تينا" لا تعني لك شيئا لدرجة أنك لم تتحدث عنها.

منعت بصعوبة شديدة دموعها من السقوط وهي تحدج وجه "ڤيك". تابعت بصوت منفعل:

- هناك أمور أنا قادرة على فهمها. أعلم أنك تعذبت كثيرا ولكني لا أستطيع أن أتقبل أنك استطعت أن تترك "تينا" كل هذا الوقت.

حاول أن يستجمع أفكاره ثم قال:

- لا أستطيع أن أطلب منك أن تقبلي مثل هذا، ولسوء الحظ أنا نفسي أبحث من وقت طويل عن إجابة عن هذه الأسئلة ولكني أتوسل إليك أن تمنحيني الفرصة.. وأرجوك أن تتزوجيني.

اضطربت الشابة حتى أوشكت أن تتعثر.

همست:

- أنا لا أريد أن أتزوج رجلا لا أعرفه يا "ڤيك".. هل تفهم؟ ولست أدري إن كنت قادرة على أن أبدأ من البداية.

عادا من نفس الطريق صامتين كما جاءا. قال "ڤيك" أمام مدخل العمارة:

- ها نحن قد عدنا إلى البداية.

قالت قبل أن تبتعد:

- على الأقل نحن في مكان محدد.

###

حاولت "فيونا" يائسة أن تنسى "ڤيك" ولكن دون جدوى. ألقت بكل جهدها في العمل ومع ذلك كانت عاجزة عن مداواة جراحها، ووجدت صعوبة في إخفاء عذابها عمن حولها. صارحها "آرشي" في يوم من الأيام وهما عائدان من درس في علم الآثار في ساحة المقبرة:

- إن لك رأسا صلبا حقا يا "فيونا".

ابتسمت له ابتسامة مريرة. وقالت:

- شكرا على مجاملتك يا "آرشي"!

- هل تعلمين أننا اشتقنا لـ"ڤيك"؟

- وأنا كذلك.

- إذن؟

- نحن مختلفان عن بعضنا البعض يا "آرشي"

- اعلمي أن الخل والزيت يمكن أن يعطيا سلطة ممتازة.

- اخشى ألا يكون رأيي مشابها لرأيك.

الفصل الثالث عشر

حاولت "فيونا" أن تقنع نفسها بانها ستتحسن بسرعة، وفي كل يوم تحاول أن تقتنع أنها ستقضي نهارا لذيذا دون تفكير حزين ولكن للأسف عندما تحتسي اول رشفة من قهوتها يطاردها وجه "ڤيك".

صاحت "روزماري" في يوم من الأيام عندما جاءت لبيتها:

- إن هذا لا يمكن أن يدوم يا "فينيجان"! لقد مر أسبوعان وأنت تشبهين الميت الحي.

ردت عليها "فيونا" بلهجة لاذعة:

- من الواضح أنكم جميعا متفقون على ذلك. هل تريدين قدح قهوة؟

هزت "روزماري" راسها نفيا وجلست في مواجهتها:

- لابد أن تخرجي من هذه الحالة يا "فيونا".

همست بصوت شبه مسموع:

- أعلم ذلك.

- هل تحبينه؟

أجابت في الحال وهي تعلم أنه لا فائدة من الكذب عليها:

- نعم.. إن الحب كارثة.

دهشت "روزماري":

- كارثة؟

- نعم.. لا.. حسنا لست أدري. يا "روزماري"! أنا ضائعة ولا أستطيع أن أعيش بدون "ڤيك" ولكني عاجزة عن الزواج به.. ليس الآن.. أعتقد انني أحبه ثم أفكر في ابنته المسكينة "تينا"، وهنا أخشى أن أكتشف أنه شخصية أخرى لا أعرفها.

- أنت قاسية يا "فيونا".

- نعم يا "روزماري" ولكن انظري إلى ما فعله بي.

- يجب عليك أن تتفتحي قليلا وتحاولي أن تفهمي الجحيم الذي كان يعيشه "ڤيك" طوال أربع سنوات كاملة.

- إنني أحاول ولكن هذا لن يفلح في إقناعي أن أقضي بقية عمري معه.

- الحياة ليست بسيطة وسهلة ولكن تذكري ونحن أطفال نلعب في المقابر. في البداية كنا مرعوبين وسرعان ما تعودنا وأصبحنا أصدقاء لكل المدفونين.

ابتسمت "فيونا" أمام الذكريات اللذيذة.

###

حاولت "فيونا" يوم السبت التالي أن تسيطر على آلامها وخرجت تتنزه بالسيارة. سلكت دون أن تدري الطريق المؤدي إلى أملاك "ميلروز"، قررت أن تمر عليهم لتقبّل "تينا". صاحت "أبي" التي كانت جالسة في الخارج في الشرفة الأمامية:

- "فيونا"! مرحبا بك

قرأت الشابة في عينيها أنها على علم بقطيعتها مع "ڤيك". سألتها في الحال:

- هل قابلت "ڤيك"؟

- في كل يوم.. لقد رأيناه في أسبوعين عددا من المرات أكثر مما

www.rewity.com

رأيناه في أربع سنوات.

- إذن حضر لرؤية "تينا".

قالت "أبي":

- تعالي يا "فيونا" اجلسي بجواري.. بالتأكيد لم يحك لنا "فيك" كل شيء ولكن أخبريني أولا عن شيء: هل تحبينه؟

- أنت تعرفين الرد تماما يا "أبي".

- حسنا.. هذا بالضبط ما أردت أن أسمعه. هو أيضا يحبك من كل قلبه.. وأنت تعرفين. إنه وابنتي كانا يعشقان بعضهما بعضا وعاشا معا ثلاث سنوات رائعة. لأول مرة في حياته يكتشف "فيك" كيف يمكن أن يكون محبوبا. لا أريد أن أقول لك: إن والديه لم يكونا يحبانه ولم يكونا قاسيين وإنما ببساطة لم يرغبا في الإنجاب والجميع كانوا يعرفون أن "فيك" ثمرة غلطة.

ارتجفت الشابة لأنها لم تتحمل هذه الفكرة: إن "فيك" رجل رائع وليس غلطة.

أضافت "أبي":

- بالتأكيد لم يكونا ليهجراه ولكنهما اضطرا لأن يوكلا تربيته للآخرين وظل غريبا عندهما، وعندما وقع هو و"آن" في الحب اكتشف "فيك" الحب الحقيقي.

غاصت "فيونا" في مقعدها حتى تسمع "أبي" أفضل.

- لقد كان لموت "آن" تأثير الصاعقة عليه. لقد انهار العالم الذي بنياه معا بطريقة فظيعة ولم يجد لديه الشجاعة أبدا ليبني عالما آخر، وكان يخاف ألا يستطيع رعاية "تينا" وفضل أن يوكلها إلينا. لم نكن أنا و"ستان" راضيين حقا عن ذلك ولكن لم يكن أمامنا مفر. ولم يعد أمامنا إلا أن ندعو السماء حتى يعثر "فيك" على الحب من أجل ابنته.

- كم تعذبت حقا يا "أبي". لابد أنني بدوت في عينيك شديدة الأنانية.

- لا.... دعيني أكمل.. بفضلك يا "فيونا" استجابت السماء لدعواتنا.. لقد قرر "فيك" أن يأخذ "تينا" عنده في بيته. بفضلك وجد طريق الحب

اضطربت الشابة ولم تحاول مسك دموعها. سمعتا فجأة صوتا صغيرا خلفهما:

- مرحبا يا جدتي! مرحبا يا "فيونا"!

محت السيدتان كل آثار الانفعال بسرعة، ردت "فيونا" وعيناها لازالتا تلمعان من الدموع:

- مرحبا يا "تينا".

وجدت أن خدي الطفلة ازدادا حيوية، وعينيها أكثر بهجة.. هل هذا بسبب مسلك "فيك"؟

- "أبي"! أحب أن أصحب "تينا" في نزهة في الحديقة.. إن الجو صحو اليوم.

- فكرة رائعة.. إنها ستحب ذلك.

تركت "فيونا" الطفلة تسحبها من يدها. كان من الواضح أنها عثرت على بهجة الحياة.

ظلت الشابة غارقة في أفكارها وهي تقطف الزهور البرية من هنا وهناك وتوغلتا في مرح داخل الغابة الكثيفة.

###

كان الوقت متأخرا في الصباح عندما علم "فيك" من عمته بوجود "فيونا" وجاء لمقابلتها، استدل عليهما من ضحكات "تينا" البللورية. افتتن من اللوحة التي أمامه للشابة والطفلة، ظل لحظات -وقلبه مفعم بالحب- يتأملهما ثم قال:

- مرحبا!

استدارت "فيونا" و"تينا" بحركة واحدة. هتفت "تينا":

- أبي!

صاحت الشابة وهي تجري نحوه:

- "فيك"!

تصارعت الكلمات في رأسها. أرادت أن تقول له كم هي تحبه! وكم كانت غبية بأن تصرفت هذا التصرف السلبي!

دهش "فيك" وهمس:

- يا حبي!

أخذ كل منهما يتأمل الآخر في إمعان. قالت الصغيرة وهي تقترب:

- أقدم لك صديقتي "فيونا"... هل تلعب معنا؟

أجابها "فيك" برقة وهو ينقل نظراته بينهما :

- بشرط أن يكون ذلك طول العمر.

صاحت الصغيرة قبل أن تنطلق أمامهما:

- موافقة ولكن يجب أن نعود لتناول الغداء.

همس "فيك":

- أحبك يا "فيونا فينيجان" بلا حدود.

تلعثمت الشابة وهي عاجزة عن التعبير عن حبها:

- لقد كنت قاسية معك يا "فيك". أنا..

- هل تريد الكونتيسة أن تتحدث معي؟

- لا.. الكونتيسة تريد فقط أن تحبك مثل "فيونا فينيجان" للأبد وأن تتزوجك وتربي ابنتك.

تمت بعون الله تعالى